نبي الله أيوب عليه السلام

طريق الشفاء

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

دار ابن كثير

نبي الله أيوب عليه السلام

طريق الشفاء

نبي الله أيوب عليه السلام

طريق الشفاء

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

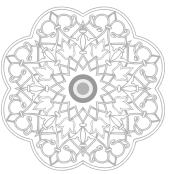

الإهداء

- إلى الرَّاغبين والمتعطِّشين لمعرفة سِيَر وقصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.
- إلى السَّائرين في مدارج السَّالكين لتحقيق توحيد الله وإفراده بالعبادة، وملازمة الصَّبْر على الطاعات، وعن المعاصي، وفي النَّكبات.
- إلى المتعطِّشين إلى الأَوْبة لخالقهم العظيم سبحانه وتعالى.
- أُهدي هذا الكتاب، سائلاً المولى عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يكونَ خالصاً لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

تقديم

عبد السلام مقبل المجيدي

الحمدُ لله القائل في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، والصلاة والسلام على النبي الأوَّاب، والرسول المهاب سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته الكرام الأنجاب، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر والمآب.

أما بعد:

فإنني على وَجَلٍ أن أكون متجرئًا في تقديمي لهذا الكتاب المبارك، وذلك لعلاقتي القديمة بمؤلفات فضيلة المحقق البارع مجدِّد علم التاريخ ومآثره، ومُظْهِر كنوزه وجواهره: الشيخ الأستاذ الدكتور/ علي الصلابي، وترجع علاقتي بفضيلته إلى نحو ثلاثين عامًا؛ إذ التقيت به قَدَرًا في فندق في شارع تعز في مدينة صنعاء، يرافقه أحد الفضلاء العاملين في مشروع الشفيع القرآني الرائد، وأخبرته عن شوقي للقاء به، فأخبرني عن انشغاله، ثم ما لبث حتى اتصل بي، وتكلم معي معاتبًا نفسه حين لم يرحب بي لتحديد موعد مع طالب علمٍ محبٍّ، ثم ما لبثت حتى ازدانت لقاءات المحبة العلمية، وصار يصحُّ أن يقال في فضيلة الدكتور:

أودك ودًّا ليس فيه غضاضةٌ وبعضُ مودَّاتِ الرجال سرابُ
وأمْحَضُكَ النُّصحَ الصريحَ وفي الحشا لودك نقشٌ ظاهرٌ وكتابُ

وفي البيت المبارك الذي كان يسكنه فضيلة العَلَم المحقق الدكتور/

علي لربما رأيتني أهيم في مكتبته العامرة في صنعاء، وكان لا يبرح أن يسائلني عن همومي العلمية، ولما كلمته عن همٍّ مؤرقٍ لي في كتابة شيء في فقه الاختلاف منطلقًا من قاعدة الفقهاء: «لا إنكار في مسائل الخلاف» انطلق يحبوني بمراجع مدهشة تعينني على تجويد البحث، وتحقيقه وإحسانه، ثم يثير عندي في المجالسة حسَّ المدارسة العميقة عبر المؤانسة الرقيقة، فأنطلق لأدارسه شأني في ذلك يعبر عنه قول القائل:

شـــأنـــي أن أدارسَ كـــلَّ شـــهـــمٍ طـويـل الـبـاع مـن بـاعـي الـقـصـيـرِ

وما برحت أراجعه في أوجاع واقع أمتنا، ومقدمات الفشل التي تجلبها لنفسها التيارات العاملة للإسلام، وهو يعالج ذلك وفق فهمه السنني للواقع الخاص والعالمي، ومنَّ الله عليَّ، فأطلعني مجدِّد علم التاريخ، ومثير علم سنن البناء والعاقبة على كتابين له تحت الطبع تباعًا: عثمان بن عفان الخليفة القرآني المدهش في عبقريته الإدارية المظلوم من القريب والبعيد، وعلي بن أبي طالب ذي المآثر والمناقب، وطلب مني مراجعة كل كتابٍ في حينها قبل أن يدفع بهما إلى الطباعة، فرأيتُ ما أذهلني من الصبر والجَلَد، والتحقيق والتدقيق، وسعة الاطلاع، ووفرة المراجع، وإظهار الحقائق التاريخية الغائبة حتى عن كثيرٍ من مُدَّعي علم التاريخ، أو طالبي التغيير في الواقع العالمي، وأتعجب من تقصِّيه لدقائق حياة هؤلاء، وصبره في إعادة كتابة التاريخ وفق الحقائق التي وقعت لا وفق الأوهام التي اصطنعها الخياليون ومزوِّرو التاريخ.

إنها لصفةٌ عجيبة يتصف فضيلةُ المحقق المجدِّد هي طول النَّفَس في الجمع والتنقيح والتحقيق، شأنه في ذلك كما قيل:

يقولونَ: كمْ تشقى بدرسٍ تُديمُهُ وتُمْعنُ فيه دائبًا كلَّ إمعانِ
فقلتُ: ذروني إنما أنا كادحٌ لأكملَ ذاتي أو لأجبرَ نقصاني

إذا لـمْ يكـنْ نقصـانُ عـمري زيـادةً لـعـلـمـي فـإنـي والـبـهـيـمـةُ سيّـانِ

ومجدِّد علم التاريخ لا تخبو أنواره المتقدة التي تقرب الإنسانية إلى الله عز وجل، وتريها بصائر كتابه وآياته، وإذ وجدتَني قد فرغت من قراءة كتابه العميق الماتع النافع «لوط عليه السلام، ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين»؛ إذ به يتحفني ويتحف العالَم بسِفْره الرائع الجديد (نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ) وبأسلوبه الفريد البديع يزين عنوان الكتاب بكوكب دري قرآني، فيضع فيه: (طريق الشفاء ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾) ليبقى هذا الكوكب الدري شجرة مغروسة في القلب المتدبر المتذكر، أصلها ثابتٌ وفرعها يحوم حول العرش، وقد قدَّمه فضيلة الدكتور للقراء بطلَّة مهيبة ليكون درَّة في عقد يعكف منذ زمن على إكمال انتظامه، ويجهد في الوصول به إلى أوْج تمامه، فقد أخرج مجدِّد علم التاريخ للقراء سلسلة قادة الإنسانية العظام الذين حملوا مشعل الهدى والنور للإنسانية منذ بدء التاريخ ليكونوا الأنوار مهما تطاول المجرمون والفجَّار، وليحققوا قول الحكيم القهار: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٨٩ ـ ٩٠].

هنا أرى تقاطعًا كبيرًا بين مشروعه الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ومشروعي «بصائر المعرفة القرآنية»؛ إذ من أهمِّ ما يعالجه «مشروع البصائر» الرؤية السننية في تفسير الأحداث والتحولات في تاريخ البشرية والوقائع المعاصرة من منظور قرآني، مع تقديم خطط النجاح وسنن تجاوز مراحل الانكسار التي تمرُّ بها أمتنا برؤية قرآنية صميمة، وأظنني محقًا لو لقبت فضيلة المحقق الدكتور/ علي مجدِّد علم التاريخ، ومؤسس علم التاريخ القرآني، فهو يجعل النَّص القرآني أساسَ تفاصيل علم التاريخ، وهو في

ذلك يسير على منهجية البصائر القرآنية في كتابة التاريخ، فلا يكتفي بالسرد القصصي، بل يجعل منه أساسًا لبناء الأمم، وتشييد القِيَم، وإنهاض الأمم، وإنارة الظُّلَم، وجعل النصوص التاريخية القرآنية منطلقًا للتذكير بالحق الموجود، والاجتهاد في تحقيق الحق المقصود، كما قال ابنُ تيمية رحمه الله: «وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْحَقَّ نَوْعَانِ: حَقٌّ مَوْجُودٌ، وَبِهِ يَتَعَلَّقُ الْخَبَرُ الصَّادِقُ، وَحَقٌّ مَقْصُودٌ: وَبِهِ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ الْحَكِيمُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ»(١).

ومضى مؤسِّسُ علم التاريخ القرآني يقعِّدُ للحقِّ الموجود والحقِّ المقصود في التاريخ عبر المسيرة الرسالية الممتدة من أنبياء الله الصالحين ورسله الأكرمين إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلى تواريخ الخلفاء والأمم والملوك من بعد، وبات ما كتبه من الأسفار العظيمة قِبْلَة الباحثين عن الدراسات التاريخية المحققة، وقد نفع الله عز وجل بما كتب ونشر نفعًا عظيمًا، وتُرجمت كتاباته إلى لغات العالم، وأُلقِيَ لما يُصدِره من هذه السلسلة المباركة القبول التام، فسارت بها الرُّكبان، وتلقَّاها القاصي والداني تلقي الظامئ العطشان، وأرجو أن هذه عاجل بشرى الله لعبده بمحبته؛ فإن الله عز وجل إذا أحب عبدًا نادى في السماء أنه يحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في قلوب أهل الأرض.

لقد شهد العصرُ المتأخر محاولاتٍ عدة للتجني على تاريخنا المجيد، وحملات متوالية للنيل من إرثنا التليد إما بتزييف وقائعه وأحداثه، أو بتفسيره تفسيرًا لا ينسجم مع القيم الرسالية والمبادئ الحقة التي تأسس وانبثق عنها، والظروف الموضوعية التي جرت في سياقها أحداثه ووقائعه، والحملات من كلا النوعين إنما تهدف لتقديم صورة قاتمة، وتشكيل نظرة سوداوية لدى القارئ المعاصر عن هذا التاريخ الذي حقَّ لنا ولكل الأجيال

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٠٢).

المسلمة أن تفاخر به في كل مَحْفل ومجمع، ولأن الأمر كما أشرت فإن الحاجة للجهود العلمية المحققة للتاريخ تتعاظم تفنيدًا للزيف، ورفعًا للحَيْف، وقد بارك الله في الشيخ العَلَم المحقق د/ علي الصلابي ليجدِّد علم التاريخ الإسلامي والبشري العام، وليؤسِّس علم التاريخ القرآني، فأتى بالكثير المبارك مما يسدُّ الثغرة، ويجبرُ الكسرة، فأثلج الله عز وجل به صدورَ المحبين، وكَبَتَ به نفوسَ الشانئين والمتطاولين على تاريخنا المجيد، وأغاظ به كلَّ جبار عنيد.

وإنك لتتابع الجهود التي قام بها مجدِّد علم التاريخ، ومؤسِّس علم التاريخ القرآني في معالجة قضايا التاريخ الإسلامي وإبراز كنوزه، فتراها جهودًا تنوء بحملها الرواسي، ولا تنهض بها إلا مؤسسات علمية، أو مراكز بحثية بطواقم متخصصة متفرغة، لكن الله عز وجل بارك في وقته وجهده، وأعانه على إخراج هذه الأسفار العظيمة، والجواهر الكريمة، وإني لأحسبُ أن إخلاصَ النية، والمعونة الربانية خيرُ عماد ومطية لتحقيق مثل هذه الإنجازات المباركة الثرية.

مزايا خاصة:

وتمضي بشغف لتقرأ تفاصيل القصص القرآني، ولا يفارقك فيها المزايا العظيمة الخاصة التي تشرقُ بها كتابات مجدِّد علم التاريخ، ومنها:

أولًا: التحليل العميق لأوضاع التاريخ وفق الرؤية القرآنية:

فالتاريخ الإسلامي وَفْق الرؤية القرآنية ممتد عبر حقب من التاريخ متطاولة، قديم قدم كلمة الله ودينه الذي ارتضاه للخليقة ألا وهو دينُ الإسلام، فهو الدِّين الذي شرعه لجميع رسله كما تنطق بذلك آياتُه البينات في غير موضع من كتابه من مثل قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُۖ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ

قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثانيًا: إظهار الأسماء الحسنى في تدبير الكون وإدالة الأيام وتدوير التاريخ:

فمن أهمِّ المعالجات القرآنية الضخمة التي ينطلق منها مجدِّد علم التاريخ ومؤسِّس علم التاريخ القرآني تفسير الأحداث التاريخية وَفْق إظهار الصفات الإلهية، والأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

وهذا يذكِّرنا بأن الإمام الذّهبي رحمه الله حاول أن يعالج التاريخ بالبصائر القرآنية، لكن فعله كان عَرَضًا لا هدفًا ولا غَرَضًا فيما يظهر، فقد نقل أن صالح بن مرداس ملك حلب حاصر مدينة المعرّة الشامية ورماها بالمجانيق، فخرج إليه أبو العلاء يتشفّع فأكرمه، وقال: ألك حاجة؟ فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، فقال: قد وهبتُكَ المعرّة)، فقال بَعْدُ:

نجّى المعاشرَ من براثنِ صالحٍ ربٌّ يداوي كلّ داءٍ معضلِ
ما كان لي فيها جناحُ بعوضةٍ والله ألبسهم جناحَ تفضّلِ

ثالثًا: تفسير التاريخ وفق مبدأ الاستخلاف في الأرض، وليس وَفْق العبث التاريخي الداروينى أو الفرويدي أو مبدأ الوسخ الكيميائي الذي قرره ستيفن هوكنج:

فتجد في الكتابات المباركة لفضيلة الشيخ الدكتور مؤسِّس علم التاريخ القرآني بناء للعقل والجسد والروح في وقتٍ واحد، وإذا كان الرازي يقرر أن من أهمِّ مقاصد القرآن الكريم «مَعْرِفَة الْحَقِّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِنَّمَا حَصَلَ الامْتِيَازُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ

وَالْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَهْدِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ: فَلَمَّا أَعْرَضَ الْكُفَّارُ عَنِ اعْتِبَارِ أَحْوَالِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِالْخَيْرِ كَانُوا كَالْأَنْعَامِ. . . وَقَالَ حَكِيمُ الشُّعَرَاءِ:

الرُّوحُ عِنْدَ إِلَهِ الْعَرْشِ مَبْدَؤُهُ وَتُرْبَةُ الْأَرْضِ أَصْلُ الْجِسْمِ وَالْبَدَنِ
قَدْ أَلَّفَ الْمَلِكُ الْحَنَّانُ بَيْنَهُمَا لِيَصْلُحَا لِقَبُولِ الْأَمْرِ وَالْمِحَنِ
فَالرُّوحُ فِي غُرْبَةٍ وَالْجِسْمُ فِي وَطَنٍ فَاعْرِفْ ذِمَامَ الْغَرِيبِ النَّازِحِ الْوَطَنِ»[1]

رابعًا: الربط الواقعي، وتفسير الأحداث وماجريات الواقع وَفْق المنهج السُّنني المستلهم من نصوص الوحي ووقائع التاريخ؛ إذ (التاريخ يعيد نفسه)..

خامسًا: يُسر العبارة وقُربها من القارئ المعاصر، وما أشد حاجة أبناء العصر لتقريب الحقائق البانية والبصائر الهادية إليهم في ظلِّ هذا السيل الجارف من المعارف، وغلبة التفاهة في وسائل التلقي والاتصال المعاصرة.

سادسًا: إبراز الأقوال السَّديدة والآراء الحميدة التي جادت قرائحُ المفسرين والمؤرخين في استلهام بصائر النص القرآني المبين.

سابعًا: اقتناص النور النبوي إن تعلقت به فكرةٌ من الأفكار التي ترتبط بالقصة القرآنية، وللنور النبوي تأثيره الهائل الذي يعمل في نفس القارئ عندما يرتبط بالنص القرآني، والرؤية القرآنية، وتحليل الحدث التاريخي.

ثامنًا: إيراد الاقتباسات المتعلِّقة بالقصة إما من كلام علمائنا للتأييد والتسديد، أو من إيرادات أصحاب الشبهات للتفنيد والتبديد، فقد أخذ كثيرٌ من الطاعنين مجاله في خداع القارئين والسامعين:

وإن من واجب الأجيال اللاحقة أن تستلهمَ دروسَ تاريخ الرسالات السماوية الضَّاربة في عمق التاريخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من واجبها

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤١١).

أن تنفي عن هذا التاريخ المبارك الدَّخَل، وتنقد ما ألحقه به المبطلون من الزَّيف والدَّجَل ليُعرض للأجيال صفحات مشرقة، وليقدِّم رجالاته الأبرار الأخيار نجومًا متألقة يكونون للأجيال أسوة، وللمتعلمين قُدْوة.

كتاب (نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ):

في هجير رمضاء النكبات المتعاقبة على أمتنا عامة، والابتلاءات المتوالية على البررة من رواد خير أمة أخرجت للناس تشتد الحاجة إلى ما يُخفِّف الوطأة، ويسلِّي الفؤاد، ويطيب الخاطر، ويذكِّر بالموعد الظافر، وهنا يأتي كتاب (نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ) ليفي بهذا الغرض، ويحقق هذا المقصد، ويعالج هذه الغاية.

قصةُ أيوب تقف مقابلَ قصة سليمان عليهما السلام، الأولى قصة الابتلاء بالضراء، والثانية قصة الابتلاء بالسراء، وقصة أيوب عليه السلام جواب عن سؤال ضخم هائل يلعب به الشيطان على أطفاله من الملحدين، وعلى بعض شبابنا الذين يستمعون كلَّ شيء في عصر وسائل التواصل: لماذا يقدِّر الله عز وجل على الإنسان نزولَ المصائب الموجعة؟ لماذا يقدِّر الله عز وجل على عبده البريء هذه الآلامَ ويسلبه لذة الحياة؟ لماذا يُخلَق بعض الناس مشوَّهين، ويعيشون حياتهم متألِّمين؟ ويناقش شيخُ التاريخ التحليلي في قصة أيوب عليه السلام مثل هذه الأفكار الشيطانية، والهرطقات الإبليسية بأسلوب رائع منطلقًا من الرؤية القرآنية ومن «بصائر المعرفة القرآنية».

وبالنظر إلى هذا الملمح أجد وجهةَ الدكتور/ الصلابي هذه تتعاضد مرة أخرى مع (مشروع البصائر المعرفة القرآنية)؛ إذ مما يقصد إليه مشروعُ البصائر توفير الأجوبة التفصيلية العملية التي تبين الآيات البينات وحُجَجها وقوة دلالاتها، بما يُجلِّي الحق الذي يدمغ الباطل في مواجهة الطاعنين والشانئين من المستشرقين والمستغربين.

وإن من محاسن هذه الدراسة وفَرادتها بين الدراسات المتعدِّدة التي كتبت عن سيرة أيوب عليه السلام الاعتماد على وحي الله المعصوم (القرآن الكريم)، واستنطاق نصوصه واستلهامها بما يجلي الحقائق في سيرة هذا النبي الكريم ـ عليه سلام الله ـ وتجد هذا ظاهرًا في المبحثين: الثاني والثالث، فقد عالج المؤرخُ العلامةُ الدكتور الصلابي سيرةَ أيوب عليه السلام في المبحث الثاني من خلال سورة الأنبياء وسياقها القصصي الشائق الرائق ومقاصدية تناولها لخبر أيوب وغيره من رسل الله الكرام ـ عليهم السلام ـ، وفي المبحث الثالث عَرَض لطرفٍ من قصته كذلك من خلال سورة (ص)، وأجد الفرصةَ مواتيةً هنا لأشدَّ من أزر فضيلة العلامة/ الصلابي لتأكيد ضرورة العودة بالأجيال لتطلب المعرفة الحقيقية ـ تاريخية كانت أو غيرها ـ من نصوص هذا الكتاب العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وإن من نوابت الزيغ والانحراف وأُسس الميل عن جادة الصِّراط أن ينصرف فئامٌ من المتخصصين إلى دراسة المراحل التاريخية المتعاقبة للبشرية ومسيرتها الرسالية دون أن يرفعوا بمنصوص هذا الكتاب رأسًا، أو نسمع لهم عن ما حواه من الحقائق وثابت المعارف حسًّا، وما ذاك ـ فيما نحسبه ـ إلا الخذلان وتنكُّب الجادة إلى بنيات الطريق، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومن لطائف التوافق عفوًا ـ لا الاتفاق مسبقًا ـ أن ما قرره مؤسِّسُ علم التاريخ القرآني عن نشأة الحضارة البشرية الأولى، والتحولات الكبرى في مسيرتها يتفق مع ما قررته في تفسيري لسورة الأعراف من تقسيم أدوار التاريخ البشري إلى أربعة أقسام:

١ ـ نشأة البشرية وبداية الحضارة الإنسانية.

٢ ـ العهود التاريخية القديمة الخمسة.

٣ ـ التاريخ الإنساني الوسيط، ويشمل الاستخلاف الإسرائيلي وإبراز أثره على العالم.

٤ ـ التاريخ الحديث، وأبرزُ التحولات فيه بعثةُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أشرق نوره على البشرية بحضارة جديدة وليدة، يبين فيها للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون.

والآن يا صاحبي:

بين يديك درَّةٌ مصونة، وجوهرة مكنونة، وكنزٌ من الكنوز قد جهد في إعداده فضيلةُ المؤرخ المحقق والعلامة المدقق الدكتور/ علي الصلابي فاشددْ به يدًا، وافتحْ له قلبًا، ويكفيك لتعرف قدرَ هذا الكتاب ما قال المؤلف ـ نفع الله به، وبارك فيما يكتب ـ في الإهداء:

«إلى الراغبين والمتعطِّشين لمعرفة سِرِّ، وقصص الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام).

إلى السائرين في مدارج السالكين لتحقيق توحيد الله وإفراده بالعبادة، وملازمة الصبر على الطاعات، وعن المعاصي وفي النكبات.

إلى المتعطِّشين إلى الأوبة لخالقهم العظيم (سبحانه وتعالى)».

وفي الختام أتوجَّه للبارئ سبحانه أن يكتب لهذا العمل القبولَ في العالمين، وأن يعمَّ به النفع في الخافقين، وأن تشملَ بركته وخيره المؤلف والقارئ، والحمدُ لله رب العالمين.

كتبه:

عبد السلام مقبل المجيدي

كلية الشريعة/ جامعة قطر

٢٣ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ

٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤م

تقديم

الدكتور ياسين أكتاي

في إضافةٍ جديدة إلى المكتبة الإسلامية يكرمنا أستاذنا وشيخنا الدكتور علي الصلابي بمخطوطة حول قصة سيدنا أيوب عليه السلام.

وقد أتمَّ شيخنا الصلابي كتابه في منتصف عام ٢٠٢٤م في أيام تشهد فيها أمتنا تكالباً غير مسبوق من كل شذَّاذ الآفاق على فئة صابرة محتسبة مرابطة في أكناف بيت المقدس على أرض فلسطين.

هذه الفئة التي تمثلتْ في عقيدتها صبرَ أيوب عليه السلام، بالرغم ممّا مسَّها ويمسُّها من ضرّ من عدو ومن أشياع العدو، إلا أنها فئة آمنت أن النصر هو بشارةٌ لمن صبر وشكر.

ويحمل المخطوطُ عبراً وبينات ربما غابت عن كثير، فكان من الواجب للفاحص المحقق، شيخنا الصلابي، أن يستوثقَ من بعض الروايات، وما شاب بعضَها من شبهات مصدرها إسرائيليات، لا تنسجم مع مقام النبوة والعبودية التي أنعم الله عز وجل بها على عبده أيوب عليه الصلاة والسلام.

وحين يسرد شيخُنا الصلابي ما ورد في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي الأثر عن ما مرَّ به سيدنا أيوب عليه السلام، تتجلى للقارئ معانٍ عدة، أتشرف بأن أعرِّج على بعضها هنا، معترفاً بأني اجتهدتُ أن أقارب منها ما وجدته متوافقاً مع ما نعيشه اليوم من واقع لا يسرُّ صديق، وجعلنا بين الأمم تتداعى علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، والسبب

حب الدنيا وكراهية الموت، وبين هذا وذاك فقدان الصفة التي اختصَّ الله بها عباده المؤمنين صفة الصبر.

فالمعنى الأول الذي استثار انتباهي؛ إضاءة شيخنا على أساليب الشيطان في غواية الخلق وتعدّدها ما بين وسوسة واستحواذ وما بين أزّ واحتناك، وما يفعله الشيطان من تخويف لأوليائه، وغيرها التي أراها بالضرورة تتشابه وتتطابق مع أساليب أعداء الأمة في زماننا هذا في حملتهم المسعورة على كلِّ مظهر من مظاهر العقيدة التي ننتمي إليها باعتزاز.

والمعنى الثاني، أن قيمة الصبر هي قيمةٌ رفيعة ذكرت في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن الكريم ولأكثر من مئة مرة، ما يدلل على أن قصة أيوب عليه السلام هي مَثَلٌ يحتذى للمؤمنين، أفراداً وجماعات، فالصبرُ وسيلة لنصر الجماعة والصبر مدعاة لرضى الخالق للفرد والجماعة.

أما المعنى الثالث، فإن على الإنسان السعي، وأن الغنى واستحواذ المال بما يتفضَّل به الله على عبده هو أمر محمود طالما كان المصدر حلالاً، والإنفاق موجهاً في غايات نبيلة وفي مرضاة الله عز وجل.

والمعنى الرابع؛ الدنيا لا تنتظم لأحدٍ، وأن الأيام تتداولُ بين الناس، فمن كان مسيطراً متجبراً مغتراً ربما يجدُ نفسه في موضع آخر في لمح من البصر، فعلى الإنسان وكذلك الدول أن لا تغترَّ بعظمة أو نفوذ، فما منحه الله قد يسحبه، وما أنعم به قد يبدِّل نعمته، ولا ننسى أن الله هو الرزاق وهو المنتقم.

ولا شك في أن كتاب شيخنا يحتوي على معانٍ أسمى وأعمق، للقارئ الكريم أن يعيشها متخيلاً ملكوت الله، ومستشعراً عظمة الخالق جل وعلا.

إنَّ كافة أنبياء الله هم للمسلم قدوة، ولا يكتمل إيمان المرء إلا إذا

آمن بما حملوه من رسالة، فهم شخصياتٌ عظيمةٌ اختصَّها الله عز وجل، وقد ذكرت أفعال وأقوال أنبياء الله في كتابنا العظيم، القرآن الكريم، وكذلك ما وردنا في الحديث الشريف لتكون لنا هدايةً ودليلاً.

فكلٌّ واحد من هؤلاء الأنبياء بعثه الله في فترة تاريخية مختلفة إلى قومه، وبِلُغة أولئك القوم، وكون الأنبياء من البشر، فكان لكل منهم حالُه الخاص، لكنهم يتفقون جميعاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وعند التمعن في الفترات والمجتمعات التي عاش فيها كلُّ نبي من أنبياء الله والمشاكل التي واجهها، نجدها تُظهر خصائصَ كلِّ قوم وتبيان للفترة الزمنية التي عاشوا فيها.

فمثلًا، وقف النبيُّ موسى عليه السلام أمام فرعون لإنقاذ بني إسرائيل من العبودية، في تحدٍّ واضح لمن اعتقد أنه «الرب الأعلى».

وفي قصة النبي نوح عليه السلام نتعلَّم فضيلةَ الإصرار على الدعوة إلى سبيل الله، سراً وجهراً دون كلل.

أما نبينا يوسف عليه السلام، فقد ابتُلي بالحسد من إخوته، وبمحاولة الغواية من زوج سيده وسُجن في سبيل الله كي لا يقع في فعلِ الحرام، وبفضل صبره وثباته مكَّن الله له في الأرض عزيزاً حاكماً.

وفي حكاية الأنبياء داود وسليمان عليهما السلام العِبَر الكثيرة للحاكم المنتصر، والإنسان المتمكِّن.

ولنا في حكاية سيدنا إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في تحدِّي الطاغية، والإيمان بعطاء الله ووعده، وترسم إطاراً لعلاقة الإنسان مع أقرب الناس إليه، الوالدين، بحيث لا يتقدم حبهما على حب الله وطاعة الله وإن كان البر بهما واجباً قطعاً.

كل من هؤلاء الأنبياء عاش حياة مختلفة في ظروف تاريخية متباينة،

ولكن قصصهم جميعها تتوحَّد في القرآن الكريم تحت مسارٍ واحد وحيد، وهي الدعوة إلى التوحيد، والنضال من أجل «لا إله إلا الله».

وتكون الخلاصةُ في دعوة خاتم النبياء والمرسلين النبي محمد ﷺ، حيث تظهر في مثالٍ فريدٍ وكامل، فنبينا محمد عليه الصلاة والسلام تمثَّلتْ في شخصه ودعوته كلُّ قصص الأنبياء، فكان لنا الرحمة المهداة، وكان ـ بأمر ربنا ـ خاتمَ الأنبياء.

إن شعارَ المؤمن المسلم «لا إله إلا الله» هو القاسمُ المشترك بين جميع أصحاب الرسالات الإلهية، وتتجسد في حياة كل نبي عبر اختبارات مختلفة، وتستمر بطرق وسير متباينة.

لهذا لا تبقى أي قصة نبي حكاية من أساطير الأولين كما قال أهل الكفر، بل إن قصص الأنبياء تُعدُّ نبراساً يضيء حياة المؤمن، ويرشده على مرِّ الزمان.

ما جاد به علينا شيخُنا الدكتور علي الصلابي، بجهوده القيِّمة وأعماله المتنوعة حتى الآن، نجح بشكلٍ رائع في توضيح هذا الرابط القرآني. وبعد أعماله حول حياة آدم، نوح، إبراهيم، موسى، وعيسى عليهم السلام، يقدم لنا الآن دراسةً قيمةً عن حياة النبي أيوب عليه السلام، جهاده، ابتلائه، وصبره. نشكره جزيلَ الشكر، ونسأل الله أن يرزقنا دائمًا الاستفادة من علمه وفضله.

وهنا نجدُ أن ما يميز النبيَّ أيوب عليه السلام عن الأنبياء: صبره العظيم على الابتلاءات التي أصابه الله بها، والتي بسببها فَقَدَ مكانته في المجتمع، وابتعد الناس عنه، ومع ذلك، ظل صابرًا معتمدًا على الله وحده.

فالصبرُ فضيلة عظيمة، وكم هي حاجة الناس إليها في يومنا هذا، ومن موقعي كأستاذ في علم الاجتماع، أودُّ أن أنوه هنا أن الصبرَ يُعَدُّ قيمة

اجتماعية وأخلاقية تعزز التماسك الاجتماعي، وتحقق التوازن في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.

حيث إن الصبر مرتبطٌ كمعيار بقدرة الفرد على التحمل في مواجهة الضغوطات المحيطة، ويختلف المفهوم بين المجتمعات استناداً إلى القيم والمعايير التي تحكم المجتمع.

وبفضل الله علينا كأمة الإسلام فإن الصبر في معتقدنا عبادة، وطريق نجاة وامتحان من خالقنا الذي نعبده كما أمرنا، ونصبر كما أمرنا، وننتظر المفازةَ كما عُلِّمنا.

فالشكر لله أولاً وآخراً، ومن ثم لشيخنا الصلابي على ما فتح الله به عليه، فأضاف إلى المكتبة الإسلامية جديداً موثقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

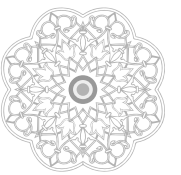

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

اللهُمَّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ولك الحمدُ حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيتَ، ولك الحمد بعد الرضا.

أمَّا بعد:

فإنَّ هذا الكتاب: (**نبيّ الله أيوب عليه السلام؛ طريق الشفاء**، ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾)، يأتي ضمن سلسلة الأنبياء والمرسلين، وحلقة مهمَّة في تاريخ عَلَم من أعلام الإنسانيَّة، وشخصيَّة عظيمة أكرمها الله بالنبوَّة والرسالة، وخلَّدها في كتابه العزيز قُدْوَةً للعابدين وأُسوةً لأولي الألباب.

وقد صدر من سلسلة الأنبياء والمرسلين:

ـ موسوعة نشأة الحضارة الإنسانيَّة الأولى وقادتها العِظام، آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد ﷺ.

ـ النبيّ الوزير يوسف الصِّدِّيق عليه السلام؛ من الابتلاء إلى التمكين.

ـ الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام وهيكل سليمان المزعوم.

ـ لوط عليه السلام ودعوته لقومه الظَّالمين، وعقاب الله لهم.

ـ هود عليه السلام وزوال حضارة عاد.

ـ نبي الله صالح عليه السلام وأسباب هلاك قوم ثمود.

وهذه قصةُ أيوب عليه السلام، وقد جاءت في القرآن الكريم مليئةً بالدروس والعِبَر والفوائد والعظات والسنن والقوانين، وتُعطي النَّاسَ المنهجَ الصحيح في التعامل مع الابتلاءات.

وإنَّ القصصَ القرآني له علاقةٌ مباشرة بالذاكرة الإنسانيَّة، وبأهمِّ محطَّاتها الملهمة في تاريخها الطويل، والوقوف عليها تدبُّراً وتأمُّلاً وتفكُّراً، ممَّا يُعين المسلمَ على أن يَغُذَّ السير على الصراط المستقيم، والتواصل مع هذا الرَّكْب الميمون «روحيَّاً» و«أخلاقيَّاً» و«عقائدياً»، كما أنَّه فيه العلاج الشَّافي من أمراض الشهوات والشبهات، ومعرفة أسباب النَّجاة، وعوامل الانهيار والهلاك.

فهذا الكتابُ يجمع ما قاله المفسِّرون والمؤرِّخون عن أيُّوب عليه السلام، ونستعين بالله عز وجل في التسديد والتوفيق، والوصول إلى الحقيقة، مُستفيداً من آراء العلماء في الماضي والحاضر، مع الوقوف بحزم وعزم ضد الرِّوايات الموضوعة، والخزعبلات والأكاذيب والأباطيل التي لا تليق بمقام النبوَّة. واعتمدتِ الدراسةُ على العلم والإنصاف، وقَصْد

معرفة الحقيقة ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ورسم المحطَّات المهمَّة في قصَّة هذا النبيّ الكريم.

وقد قُمتُ بتقسيم هذا الكتاب إلى مباحث، فكان **المبحث الأوّل** يشتمل على: اسم أيُّوب، ونسبه، وموطنه، وحديث كتب التاريخ والتفسير عنه، وبيَّنتُ أنَّه من نسل إبراهيم عليه السلام، وقد نصَّ القرآنُ الكريم على هذا النسب في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وبيَّنتُ خلافَ العلماء في زمانه، وما هو المرجَّح عند بعض العلماء، وأظهرتُ بطلانَ روايات لا تصح في مرض أيُّوب عليه السلام، وحديث المؤرِّخين عن مدَّة مرضه، وطبيعة البلاء الذي أصابه، وتحدَّثتُ عن سفرٍ منسوب إلى أيُّوب في العهد القديم، ورأي العلماء فيه، وعن مواضع ذِكْر أيوب في القرآن الكريم، وعن مكانة أيُّوب في موكب الأنبياء والمرسلين.

وفي المبحث الثاني: ذكرتُ قصَّة أيُّوب عليه السلام في سورة الأنبياء، فتكلَّمت عن مقاصد السورة، وأهداف القصَّة، ولخَّصتُ أقوالَ العلماء في تفسير الآيات الكريمة، ووضَّحت مفهومَ سُنَّة الابتلاء التي تعرَّض لها أيُّوب عليه السلام، وأهمِّية الدُّعاء في رفع الشَّدائد والمحن، وبأنَّ المفتاحَ الأكبر هو التضرُّع والانكسار بين يدي الله عز وجل، ومعرفة الخالق العظيم، وأنَّ السرَّ في الشفاء من الأمراض والأضرار يكمن في التوسُّل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الثابتة التي لا تريم، وفي هذا المقام كان التوسُّل إلى خالقنا العظيم، ورازقنا الكريم، الحكيم العليم بقول أيُّوب: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣]، فكان الجواب:

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [يونس: ١٢].

ووقفتُ مع شروط الدُّعاء وآدابه وأوقاته، ومن يُستجاب دعاؤهم؛ تعليماً لمن ابتغى، وإرشاداً لمن أراد.

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن قصَّة أيُّوب في سورة (ص) فتحدّثت عن السورة ومقاصدها، وأسباب ذكر أيُّوب فيها، وكانت هناك وقفاتٌ متدبِّرة متأمِّلة متفكِّرة مع الآيات الكريمة، مستأنِساً بآراء العلماء والمفسِّرين وممَّن كتبوا في القصص القرآني وتاريخ الأنبياء والمرسلين:

- كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١].
- وقوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
- وقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [ص: ٤١].

ولقد بيَّنتُ حديثَ العلماء في المصائب بين كسب الإنسان وإرادة الله عز وجل، وأدب الأنبياء مع الله، وأنَّه لا سلطانَ للشيطان على أيوب عليه السلام. وأعجبني تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله للآية الكريمة، فذكرتُه، ولخَّصتُ وسائل الشَّيطان وأساليبه في التأثير على الإنسان، كوسيلة الوسوسة، والاستحواذ، والنزغ، والتسويل، والإملاء، والإلقاء، والإضلال، والتزيين، والاستفزاز، والإغواء، والهمز، والتخويف، وغيرها من الأساليب والوسائل، وشرحتُ قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢] من خلال أقوال العلماء الرَّاسخين المتبحِّرين في علوم التفسير، وأجبتُ على هذا السؤال، وبيَّنتُ وجهَ الحق، ومن هم أولو الألباب الذين ذَكرهم الله في قصَّة أيوب: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٤]، وسرت على منهجيَّة علميَّة في تفسير الآيات التي جاءت في قصَّة أيُّوب عليه السلام، ورجعتُ إلى الأئمَّة

المعتمَدين من علماء الأمَّة كالطبريِّ، وابن كثير، والقرطبيِّ، والشنقيطي، وابن عاشور، وأبو زهرة، والشعراوي، وغيرهم من القدماء والمعاصرين.

وختمتُ الكتابَ بأهمِّ صفات وخصائص أيُّوب عليه السلام، وبيان عقيدة الإسلام في الأنبياء والمرسلين، وأهمّ صفاتهم، ووجوب الإيمان بهم، وحكمة إرسالهم، ووظائفهم، والأمور التي تفرَّدوا بها، ووفاة أيُّوب عليه السلام كما جاءت عند الطبريِّ وابن كثير وابن عساكر ـ رحمهم الله جميعاً ـ.

وها قد انتهيتُ من هذا الكتاب في يوم الثلاثاء الموافق لـ (١١ يونيو ٢٠٢٤م/ ٥ ذي الحجَّة ١٤٤٥هـ)، وذلك في تمام السَّاعة الخامسة وعشرين دقيقة بعد صلاة العصر في مدينة الدوحة عاصمة قطر، حفظها الله وسائر بلاد المسلمين.

والحمدُ لله على فضله ومَنِّه، ونَسأله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل هذا العملَ قبولاً حسناً، وأن يُكرمنا برفقة النبيِّين الصدِّيقين والشهداء والصالحين، مع إخواني الذين ساعدوني على إتمام هذا الكتاب.

ولا يَسَعُني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقفَ بقلب خاشع منيبٍ أمام خالقي العظيم، وإلهي الكريم، معترفاً بفضله وكرمه وجوده متبرِّئاً من حولي وقوَّتي، ملتجِئاً إليه في كلِّ حركاتي وسَكَناتي، وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضِّل، وربِّي الكريم وإلهي العظيم هو الموفِّق، فلو تخلَّى عنِّي، ووكلني إلى عقلي ونفسي لتلبَّد منِّي العقل، وغابت الذاكرة، ويبست الأصابع، وجفَّت العواطف، وتحجَّرت المشاعر، وعجز القلمُ عن البيان.

اللهُمَّ يا مقلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك وعلى طاعتك.

اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من سوء الأخلاق والأعمال والأهواء، وطريق الغواية.

اللهُمَّ بصِّرْني بما يرضيك، واشرحْ صدري، وجنِّبني ما لا يرضيك،

واصرفْهُ عن قلبي وتفكيري، وأسألك يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تُثيبني وإخوتي الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد.

اللهُمَّ اجعلْ هذا العملَ لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، واطرحْ فيه البركةَ والقبول والنفع العظيم.

نرجو ممن يطَّلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبدَ الفقير إلى عفو ربِّه ومغفرته من دعائه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

والحمد لله ربّ العالمين.

الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ورضوانه

د. علي محمَّد محمَّد الصلَّابي

الدوحة/ يوم الثلاثاء

في ٥ ذي الحجَّة ١٣٣٥هـ

الموافق لـ ١١/ ٦/ ٢٠٢٤م

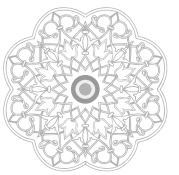

المبحث الأول

اسم أيوب عليه السلام ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ عنه، ومواضع ذِكْره في القرآن الكريم

أوّلاً: اسمه ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ والتفسير:

١ ـ رجوع نَسَب أيُّوب إلى إبراهيم عليه السلام:

نصَّ القرآنُ على نسب سيدنا أيوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. ولكن وجد خلافٌ في نسبه قبل إبراهيم، وقد ذكر كثيرٌ من المؤرِّخين أنَّه من سُلالة العيص بن إسحاق، وهو ما صحّحه ابن كثير(١).

ويَذكر بعضُ المؤرِّخين تاريخَ أيُّوب عليه السلام فيقول: إنه بعد نبي الله إسحاق عليه السلام، لأنَّهم يرون أنَّ أيُّوب من ذُرِّية إسحاق، ومنهم من يَذكرها بعد قصَّة يوسف عليه السلام، لأنَّهم يرجِّحون أنَّ زوجته بنتٌ لأحد أبناء يوسف الصدّيق عليه السلام وعلى نبيّنا الصلاة والسلام.

وعلى أيَّة حال فإنَّ جمهورَ المؤرِّخين سواء الذين ذكروه بعد إسحاق،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٠م، بعناية عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي، ودار المعرفة، لبنان، ط٤، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، (١/ ٣١٥).

أم الذين ذكروه بعد يوسف، يرون أنَّه من ولد إسحاق عليه السلام، وقليل هم الذين يَرون أنَّه ولدُ رجلٍ آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أُلقي في النَّار، فلم تحرقه[١].

واختلفوا في زمانه، فقال بعضُهم أنَّه حفيدُ العيص بن إسحاق، فهو في هذا في زمن يوسف عليه السلام، ومنهم من قال بأنَّه في زمن إسحاق وإسماعيل عليهما السلام.

وقال آخرون: إنَّه كان معاصِراً لموسى عليه السلام، وقال آخرون: كان معاصراً لسليمان عليه السلام، واعترض آخرون فقالوا: إنَّه كان معاصراً لبخْتنصَّر، وقال آخرون: إنَّه كان زمن أزدشير ملك فارس[٢].

وقال الدكتور صلاح الخالدي رحمه الله: إن حديثَ القرآن الكريم عن أيُّوب بعد الحديث عن داود وسليمان عليهم السلام في سورتي الأنبياء وص، يوحي بأنَّ أيُّوب عاش بعد داود وسليمان، وبعثه الله نبيَّاً إلى قومٍ بعدهما، وهذه إشارةٌ بالإيحاء والاستئناس، نذكرها من باب الاحتمال، والله تعالى أعلم[٣].

وأمَّا الدكتور محمود عبد نور الدين أستاذ التاريخ والحضارة بكليَّة اللغة العربية في جامعة الأزهر، فقد قال: أمَّا عصره، فقد اختلف في تحديده، والرَّاجح أنَّه كان بين يوسف وموسى عليهما السلام[٤].

---

(١) نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم، ١٩٩٤م، (١/ ٢٨٣).

(٢) أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الحافظ، ٢٠٠٠م، ص١٣٣.

(٣) القصص القرآني، الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، (١/ ٩).

(٤) تاريخ الأنبياء، محمود عبده، ص٢١٣.

٢ ـ موطن أيُّوب عليه السلام:

اتّفق العلماءُ والمؤرِّخون على أنَّ مقام أيُّوب عليه السلام كان في الشَّام، واختلفوا في تحديد المكان بالضبط، فمنهم مَنْ قال: كان بدمشق وما حولها، ومنهم من قال بأنَّه كان في سَهْل حوران جنوب دمشق، ومنهم من قال: كان بآدوم جنوب البحر الميِّت، ومنهم من قال غير ذلك، والله تعالى أعلى وأعلم[(١)].

٣ ـ روايات لا تصحُّ في مرض أيُّوب عليه السلام:

تحدَّث المفسِّرون عمَّا كان يملكه أيُّوب عليه السلام من المزارع والحدائق، وما كان له من أموال ودواب وأنعام وحَرْث، يضيقُ بها الحصر والتعداد، فضلاً عن نعمة القوَّة والصحَّة، إلى جانب زوجةٍ صالحةٍ جميلة الخَلْق والخُلُق، ومع هذه لم تُبطره هذه النعمُ الكثيرة، وإنَّما صبر لها، وأدَّى لها كلَّ ما يلزم، من شُكْر للمنعم جل جلاله، وتقدير وعرفان لفضله، وكان رحيماً بالمساكين، كما كان يكفلُ الأيتام والأرامل، ويُكرم الضيف، فقد شاءت إرادةُ الله أن يبتليه في ماله وأهله وولده وفي بدنه، فأصابه الضرُّ، ونفذت الأموال، ونفقت الماشية، وزال الثراءُ العريض، وهجم الفقرُ الشديد، والمرضُ القاسي العنيد على نبي الله الكريم، وكانت مصيبته في أولاده عظيمة، فما وَهَنَ لما أُصيب به من البلايا، وما ضعُف وما استكان، وإنَّما قابل ذلك كلَّه بالصبر الجميل، والإيمان العظيم، فكان في حالتَي الرخاء والبلاء مثالاً لعبادِ الله الصَّالحين في إرضاء ربِّ العالمين[(٢)].

---

(١) معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، محمد الغاني، (١/ ١٤٠).

(٢) دراسات تاريخية من القرآن، محمد بيومي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، (٣/ ٢١٢).

ومن المعروف أنَّ قصَّة أيوب عليه السلام دَخَلَها كثيرٌ من الإسرائيليَّات، والأخبار الواهية التي تزعم وجودَ تفاصيلَ ومضامينَ لا تليقُ بالنبيّ أيُّوب عليه السلام، ولا يرضاها الله سبحانه وتعالى لنبيِّه، وهذه الأخبارُ تسلَّلت إلى كثيرٍ من المصادر حتَّى بعض المعوَّل عليها في قصص الأنبياء مثل بعض مصادر التفسير والحديث والتاريخ الإسلاميّ(١).

ومن هذه الأكاذيب والخزعبلات التي لا يجوزُ اعتقادها بالنسبة لبلاء أيُّوب عليه السلام، ولم يصحَّ منها شيءٌ:

ـ أنَّ أيُّوب اشتدَّ به المرض، وطال البلاءُ حتَّى عافه الجليس، وأُوحِشَ منه الأنيس، وانقطع عنه النَّاس، وتعفَّن جسده، حتَّى كاد الدودُ يتناثر منه، فأُخرج من البلد، ونُفِيَ على مزبلة خارجها، إلى غير ما هنالك من الحكايات المنقولة عن التَّوراة المحرَّفة، أو هي من أقاويل أهلِ الكتاب.

وهذا القولُ يتنافى مع منصب النُّبوَّة، وقد قرَّر علماءُ التوحيد: أنَّ الأنبياء منزَّهون عن الأمراض المنفِّرة، فكيف يتَّفق هذا القول مع منصب النُّبوَّة؟!(٢).

إنَّ الأمراضَ المنفِّرة كخروج الدُّود من البدن؛ مخالفةٌ لمقام النُّبوَّة؛ لأنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وظيفتهم الكبرى الدَّعوة إلى الله، وهذا الوصفُ المستقبحُ المستشنع يُضادُّ ذلك؛ إذ إنَّه يجعل النَّاسَ يهربون، وينفرون منهم(٣).

ووصل بالبعض أنَّهم يزعمون أنَّ أيُّوب عليه السلام كان كلَّما سقط

---

(١) مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، محمد عبد الحميد، دار الفكر، ٢٠٠٣م، ص٢١٤.

(٢) مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، محمد عبد الحميد، ص٢٦٧.

(٣) قصص لا تليق بالأنبياء، طارق اللحام، شركة دار المشاريع، ط٤، ٢٠٢٠م، ص١١٦.

الدُّودُ من جسمه ردَّه إليه، ويقول لها: يا مخلوقةَ الله، يا مباركة، كُلي ممَّا رزقك الله، فهذا فيه نسبةُ الكبائر إلى أيُّوب عليه السلام، لأنَّ الإضرارَ بالجسم والعقل، وإيذاء النفس بغير حقٍّ محرَّم، وهذا لا يُقرُّه دينٌ، ولا يقبله عقل[١].

وفي هذا القول سَفَه وباطل، والأنبياء منزَّهون عن السَّفه، فكيف يُنسب ذلك لنبيٍّ من أنبياء الله يُضربُ به المثلُ في الصبر[٢]؟!

إنَّ سيِّدنا أيُّوب عليه السلام لم يكنْ مرضه منفِّراً، ولم يخرجْ منه الدُّود، ومن ثمَّ يعيده ـ على زعمهم ـ ليأكل من جسمه، وكذلك لم تصدرْ منه روائح كريهة دفعت النَّاسَ إلى رميه في المزابل[٣]، فهذه من الأكاذيب والأباطيل والبهتان المبين.

وممَّا قيل فيه من هذه الخزعبلات والترهات أنَّ سبب ابتلائه؛ أنَّ مظلوماً استعان به فلم ينصره، فابتُلي. وقيل: استضاف يوماً النَّاسَ، فمنع فقيراً الدخولَ فابتُلي بذلك.

وقيل: كان يغزو مَلِكاً، وكان له غنمٌ في ولايته فداراه، ولان معه لأجلها، فترك غَزْوَهُ، فابتُلي.

وإنَّ هذه القصصَ الواهية، والأخبار الكاذبة مرفوضةٌ عند العلماء العقلاء، وعند المحقِّقين وأهل العلم، والباحثين عن الحقائق الجادِّين، وعند أهل البصائر الأنقياء الأبرار، فيجب ألا يُلتفت إليها وألَّا يُصْغَى لها، وألَّا تزداد من النَّاس إلا استنكاراً، فشخصيَّة أيُّوب عليه السلام: شخصيَّة منزَّهة عن هذا كلِّه؛ إنَّه نبيٌّ حسن الخُلق، مؤمنٌ بالله، عابدٌ نقي صابر

---

(١) تاريخ الأنبياء، ص٢١٥.

(٢) قصص لا تليق بالأنبياء، ص١١٦.

(٣) قصص لا تليق بالأنبياء، المصدر السَّابق، ص١١٦.

راضي النفس، طيِّب الفؤاد، عطوفٌ على الفقراء، رحيمٌ بالمساكين، يكفلُ الأرامل والأيتام، ويُكرم الضيف[١].

وكان الله تعالى عابداً ومسبِّحاً وذاكراً وأوَّاباً، ومُحْسِناً في أقواله وأفعاله.

٤ ـ مُدَّة البلاء:

اختلفتِ المصادرُ في مدَّة بلواه، فزعم وَهْبٌ: أنَّه ابتُلي ثلاث سنين، وقال أنس: ابتُلي سبع سنين وأشهراً، وقد قال حميد: مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة، وقال السُّدي: تساقط لحمه حتَّى لم يبق إلا العظم والعَصَب[٢].

وأورد الألبانيُّ رحمه الله في سلسلته الصحيحة: أنَّ أيُّوب عليه السلام لبث في البلاء ثمانية عشرة سنة، ونصَّتِ الرواية: أنَّ نبيَّ الله أيُّوب عليه السلام لبث في البلاء ثمانية عشرة سنة[٣].

وذهب إلى هذا القول طائفةٌ من المحقِّقين: أنَّ أيُّوب عليه السلام مكثَ في البلاء ثماني عشرة سنة، وقد نُسِبَ هذا القولُ إلى أبي حيَّان في تفسيره[٤]. ومن المعاصرين: الشعراوي والجزائري في تفسيريهما[٥]، فقد ذكرا ما رواه ابنُ أبي حاتم بسنده، عن الزهريِّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه

---

(١) مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، ص٢٦٨.

(٢) قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد الفقي، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م، ص١٨٠.

(٣) أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، دار المعتز، ص٣٦١.

(٤) البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، (٦/ ٣٣٤).

(٥) قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، ط١، ٢٠٠٦م، (٢/ ١١٩١)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٨م، (٣/ ١٠٨٤).

أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إنَّ نبيَّ الله أيُّوب كان في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريبُ والبعيد إلا رجلان من إخوانه، كانا من أخصِّ إخوانه، كانا يغدوان عليه ويروحان، فقال أحدُهما لصاحبه: تعْلمْ والله لقد أذنب أيُّوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، فينكشف ما به، فلمَّا راحا إليه لم يصبر الرجل حتَّى ذكر ذلك له، فقال أيُّوب عليه السلام: وما أدري ما تقول، غير أنَّ الله عز وجل يعلم أنِّي كنتُ على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيني فأكفِّر عنهما، كراهية أن يذكرا اللهَ إلا في حق[١]. قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت بيده، حتَّى يبلغ[٢]... إلى آخر الحديث[٣]، أخرجه ابنُ حبَّان والحاكم وأبو يعلى، وقال الضياء: إسنادُه صحيح، وذكره الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة، وصحَّحه[٤].

ونفى أبو بكر ابن العربي صحَّةَ الأحاديث الواردة في شأن أيُّوب عليه السلام على وجه العموم، وتَبعه في ذلك القرطبيُّ، فقال ابنُ العربي: وأمَّا النبيُّ ﷺ فلم يصحَّ عنه أنَّه ذكره بحرف واحد، إلا قوله: «بينما أيُّوب يغتسلُ إذ خرَّ عليه رِجْلُ جراد من ذهب... الحديث»[٥].

وقال ابنُ كثير: رَفْعُ هذا الحديث غريبٌ جداً، وقال ابنُ حجر:

---

(١) الإعجاز العلمي في سياق قصة النبي أيوب، عبد الوهاب القرشي، ص١٩٤.

(٢) مسند الإمام أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى الموصلي، دار التأصيل، ط١، ٢٠١٧م، (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م، (٨/ ٢٠٨).

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ٢٠٠٦م، (١/ ٢٥)، الحلية، أبو نعيم، (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٥) مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، ٢٠٠٣م، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣.

وأصحُّ ما ورد في قصَّته: ما أخرجه ابنُ أبي حاتم وابن جرير، وصحّحه ابن حبَّان والحاكم بسند عن أنس، وذكر الحديث..[١].

وقال الدكتور محمد أبو شهبة: المحقِّقون من العلماء على أنَّ نسبةَ هذا إلى المعصوم ﷺ إمَّا من عمل الوضَّاعين الذين يركِّبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، أو من إسرائيليَّات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء، والأصحيَّة نسبيَّة على أنَّ صحَّة السند لا تنافي أنَّ أصلَه من الإسرائيليَّات، والإمام ابن حَجَر على جلالته ربَّما يوافقُ على تصحيح ما يخالف الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة[٢].

وقال الدكتور عدنان عبد الكريم خليفان: إنَّ حديثَ أنس المرفوع هو نصٌّ في المسألة إذا ما صحَّ، ولكن فيه ما يخالفُ الأدلَّة القطعيَّة على عصمة الأنبياء من كلِّ ما من شأنه التنفير منهم، كالمرض المنفِّر، كما أنَّ أبا بكر ابن العربي والقرطبي قد ضَعَّفا الحديث، وتبعهم أبو شهبة على تضعيفه، وبناءً على ذلك فإنَّ مدَّة البلاء والمرض التي تعرَّض لها أيُّوب عليه السلام ليست محدَّدة، بل مبهمة، وتركها القرآنُ الكريم، ولم تحدِّدها أحاديثُ نبويَّة صحيحة، كما لم يحدّد نوع المرض الذي أصابه عليه السلام[٣].

٥ ـ ما نُسب إلى أيُّوب من الشكوى:

نَسَبَتِ الرواياتُ الإسرائيليَّة إلى نبي الله أيُّوب عليه السلام، بعضَ

(١) الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، د. عدنان عبد الكريم، المجلس العلمي، ٢٠٢٤م.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ٢٠٠٧م، ص٢٧٩.

(٣) الإعجاز العلمي في سياق قصَّة النبي أيوب، ص١٩٥.

الأفعال والأقوال التي تدلُّ على جزعه، وعدم صَبْرِه على ما أصابه من بلاء، وذلك ممَّا يتنافى مع منصب النُّبوَّة، ومع وَصْفِ القرآن له.

ومن هذه الروايات: رواية الطَّبري التي تناقلها بعضُ القُصَّاص في القديم والحديث، وفيها: أنَّ أيُّوب وَضَعَ الترابَ على رأسه لـمَّا جاء خبرُ مقتلِ أولاده[١].

وفي كتاب (صبر أيوب) لمؤلِّف معاصر نقل عن أيُّوب قوله: لماذا كلُّ ذلك يا ربِّي؟، لماذا جئتَ بي إلى هذه الحياة؟ لماذا لم أمتْ وأنا جنينٌ في رحم أمي؟ أو لماذا لم تزهقْ روحي بعد خروجي من بطنها؟ لماذا يا ربِّي لم تجعل مصيري القبر؟[٢].

وقال على لسان نبيِّ الله أيُّوب: ولكنَّني لم أخطئ، أريد أن يخبرني الله بما اقترفته من الآثام والخطايا[٣].

وقال على لسانه: لماذا يعيشُ المنافقون في بسطةٍ من العيش، وتطولُ أعمارهم، ويعظمُ اقتدارهم؟ بينما يتمرَّغ الطيِّبون والمؤمنون في الشقاء والعذاب، لماذا يا ربِّي؟ لماذا؟[٤].

وهذا من الأكاذيب، وخُرافات الأساطير، وأباطيل القصص، ويتنافى مع العصمة من الذنوب، باتفاق العلماء، ومع ثناء الله على أيُّوب لصَبْره على البلاء، كما سيأتي تفسير الآيات بإذن الله.

ولاسيَّما أنَّ هذا الكلامَ المنسوبَ لأيُّوب عليه السلام يتضمَّن سخطاً

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيت الأفكار، ٢٠٠٩م، (١/٣٠٦).

(٢) صبر أيوب، محمد كامل حسن، المكتب العالمي، ط١، ١٩٧٩م، ص٦٥.

(٣) صبر أيوب، المصدر السَّابق، ص٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧.

(٤) صبر أيوب، المصدر السَّابق، ص٧٧.

لأقدار الله، واتِّهاماً للحقِّ تعالى بمجانبة العدل، فكيف يُنسب مثل هذا الكلام لمؤمن، فضلاً أن يكونَ نبيَّاً يُضرب به المثل في الصبر؟![١].

٦ ـ طبيعة البلاء الذي أصابه:

وَجَدْنا بعضَ المؤرِّخين والمفسِّرين قد نقلوا رواياتٍ عجيبةً وغريبة عن طبيعة المرض الذي أصاب أيُّوب عليه السلام، وكلُّها من الإسرائيليَّات، حتَّى زعم بعضُهم أنَّه كان مكتوباً على جبينه: (المبتلى الصَّابر)[٢].

ومن هذه الروايات: أنَّ الدُّودَ كان يتناولُ بدنه، فصبر حتَّى تناولت دودةٌ قلبه، وأخرى لسانه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣][٣].

وقد رُوي عن الحسن أنه قال: ما كان بقي من أيُّوب إلا عيناه وقلبه ولسانه، فكانت الدواب تختلفُ في جسده. قال: فمكث في الكناسة سبعَ سنين وأيَّاماً، أو قال: وأشهراً، ورُوي عن سليمان مثل ذلك[٤].

وبالغ بعضُ المفسِّرين فزعم أنَّ الله سلَّط على جسده اثنتي عشرة ألف دودة، وذلك لأنَّها عَدَد الجند الكامل، كما قال رسول الله ﷺ: «اثنا عشر ألف لن تُغلبَ من قلَّة أبداً»[٥].

---

(١) الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، د. عدنان عبد الكريم خليفان، وهذا مرجع مهم، وهو نادر.

(٢) الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، المصدر السَّابق.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م، (٨/ ٣٥٩).

(٤) كتاب الزهد، أحمد بن حنبل، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م، ص٧٧ ـ ٧٨.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي الخلوتي، دار الفكر، ٢٠١٣م، (٥/ ٥١٢ ـ ٥١٣).

ـ **ومنها**: أنَّه أصابته أَكَلَةٌ في بدنه، فلمَّا عظمت وتقطَّع بدنه أخرجه النَّاس من بينهم، ولم يبق معه غير زوجته[١].

وروى ابنُ جرير عن وَهْب بن منبِّه قال: لم يكنْ بأيُّوب الأكلةُ، إنَّما كان يخرجُ منه مثل ثدي النساء ثمَّ ينفقئ[٢].

ومن هذه الروايات: أنَّه انقطع الوحيُ عنه أربعين صباحاً، وخاف هجران ربِّه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣][٣].

ـ **ومنها**: أنَّ الضُّرَّ الذي أصابه هو شماتةُ الأعداء[٤].

ـ **ومنها**: أنَّ ضرَّه قولُ إبليس لزوجه: اسجدي له، فخاف ذهابَ الإيمان عنها فتهلك، ويبقى بغير كافل[٥].

ومن هذه الرِّوايات: أنَّه وثب ليصلِّي فلم يقدرْ على النهوض[٦]، ورجَّح هذا الآلوسي[٧].

وزعم بعضُ المفسِّرين أنَّ ما أصاب أيُّوب هو مرضٌ في جلده، لكنَّه

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧م، (٢/ ٣٨٤).

(٢) الأصيل والدخيل في التفسير في قصَّة أيوب، مجلَّة البحوث.

(٣) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، المصدر السَّابق.

(٤) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، المصدر السَّابق.

(٥) فتح البيان، (٨/ ٣٥٩).

(٦) تفسير القرطبي، (١٤/ ٢٥٦)، الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، المصدر السابق.

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرَّابعة، ١٤٠٥هـ، (٧/ ٧٦ ـ ٧٧)، الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، المصدر السابق.

ليس منفِّراً، ولعله يستندُ في هذا إلى ما نُسِب إلى مجاهد من أنَّ أيُّوب عليه السلام كان أوَّل من أصابه الجدريُّ[١].

ورأى بعضُ العلماء أنَّ ما أصاب أيُّوب من الابتلاء على الوَجْه الذي ذكره المفسِّرون وعلماء التاريخ من مرض منفِّر، إنَّما كان قبل النُّبوَّة، وأنَّ منحة النُّبوَّة إنَّما كانت لِما بدا منه من الصَّبْر والرضا بما أصابه من مكروه، وبهذا قال عبدُ الوهاب النجَّار، وتابعه عليه محمد الوكيل[٢].

وعموماً فهذه الرواياتُ العجيبةُ تتنافى مع عِصْمة الأنبياء، وسلامتهم من الأمراض المنفِّرة التي لا تليقُ بمنصب النُّبوَّة كما نصَّ على ذلك العلماء.

فكيف يُدَّعى أنَّ أيُّوب عليه السلام بسبب هذا المرض أُخرج إلى خارجِ البلدة، وأُلقي على المزبلة؟ سبحانك اللهم هذا بهتانٌ عظيم[٣]. وقال القاسمي رحمه الله: وقد روى المفسِّرون هاهنا في بلاء أيُّوب رواياتٍ مختلفات بأسانيدها واهيات، لا يُقام لها عند أئمة الأثر وَزْن، ولا تُعار من الثقة أدنى نظر. نعم، يوجد في التوراة سفرٌ لأيُّوب فيه من شرح ضرِّه، بفقد كلَّ مقتنياته ومواشيه وآل بيته، وبنزول مرض شديد به، عُدم بعدها الرَّاحة ولذَّة الحياة، إلا أنَّها ممَّا لا يوثقُ بها جميعاً، لما دَخَلَها من المزيج، وتوسَّع فيها من الدخيل، حتَّى اختلط الحابلُ بالنَّابل[٤].

ثم قال: ولو علم اللهُ خيراً في أكثر ممَّا أجمله في تنزيله الحكيم، لتفضَّل علينا بتفصيله؛ ولذا يوقف عند إجماله فيما أجمل، وتفصيله فيما

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (٢/ ١٦٠٥).

(٢) قصص القرآن، النجار، ص٣٤٩، نظرات في أحسن القصص، (١/ ٢٩٦)

(٣) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب.

(٤) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، المصدر السَّابق.

فصَّل[١]. وأمَّا الرواياتُ الأربع الأخرى في وصف ضرِّ أيوب، وهي: انقطاع الوحي، وشَماتة الأعداء، وقول إبليس لزوجة أيُّوب ما قال... وكونه مرضاً جلديَّاً، فليس عليها دليلٌ صحيحٌ من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ هذه الأمورَ الثلاثة أو أي واحد منها ـ عدا المرض الجدري ـ لا يُطلق على الضُّرّ كما هو معلومٌ في اللغة، وكما فسَّره المفسِّرون.

وأمَّا الروايةُ الأخيرة: من أنَّ أيُّوب عليه السلام وثب ليصلِّي فلم يقدرْ على النهوض، فهي تدلُّ على مظهرٍ من مظاهر المرض الذي أصابه عليه السلام، وليس بالضَّرورة أن يكونَ هذا مرضه.

وأمَّا قول النجَّار ومن معه: بأنَّ الابتلاء الذي أصاب أيُّوب عليه السلام إنَّما أصابه قبل النُّبوَّة فليس بقولٍ مقبول؛ وذلك لأنّنا لا نسلمُ أوَّلاً أنَّ ما أصاب أيُّوب هو مرض منفِّر، فليس هناك دليلٌ صحيح عليه، كما أنَّ الأنبياء عموماً أوحي إليهم بالنُّبوَّة من غير أن يسبقَ ذلك أمراضٌ تصيبهم فتنهكهم.

وكيف يُصاب نبيُّ الله بمرض منفِّر مدَّة طويلة، تبلغ ثماني عشرة سنة كما في بعض الروايات؟ وكيف سيُبلِّغ النبيُّ دعوته للناس إذا أُصيب بمرضٍ منفِّر طول تلك المدَّة؟ هذا مُحال[٢].

إنَّ سياقَ الآيات الكريمة في القرآن المجيد الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، يُثبت أنَّ الابتلاء وقع أثناء النُّبوَّة، كما أنَّ الله تعالى مدحه، وأعلى ذكره في موكب النبيّين والمرسلين، وخصَّه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، فأصبح أسوة لكلِّ النَّاس على مرِّ الدُّهور، وتوالي العصور، في تحمُّل الأمراض، والشَّدائد، والأضرار، فمديحُ الله له وثناؤه عليه يدلُّ على أنَّه من الذين أنعم الله عليهم

(١) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب.

(٢) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، المصدر السَّابق.

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٧]، ومن جهة أخرى لا يوجد حجَّة ولا دليل من القرآن الكريم والسُّنَّة الصَّحيحة، يحدِّد نوعَ المرض الذي ابتلي به أيُّوب عليه السلام في بدنه.

ونقل الإمامُ القرطبيُّ في تفسيره كلاماً جيِّداً للقاضي أبي بكر بن العربي، في الردِّ على تلك الإسرائيليَّات، ولوم الذين ردَّدوها من المسلمين، قال: والذي جَرَّأهم على ذلك، وتذرَّعوا به إلى ذكر هذا، قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، فلمَّا رأوه قد شكا مسَّ الشَّيطان، أضافوا إليه مِنْ رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال، وليس الأمر كما زعموا.

والأفعالُ كلُّها خيرها وشرُّها، في إيمانها وكفرها، وطاعتها ومعصيتها، خالقها هو الله، لا شريكَ له في خَلْقه، ولا في خَلْق شيء غيرها. ولكنَّ الشرَّ لا يُنسَبُ إليه ذكراً، وإن كان موجوداً منه خَلْقاً، أدباً أدَّبنا به، وتحميداً علَّمناه، وكان الخيرُ في يديك والشر ليس إليك... على هذا المعنى.

ومنه قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقال الفتى الكليم عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

ولم يصحَّ عن أيُّوب عليه السلام في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين:

الأولى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

والثانية في سورة (ص): ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وأمَّا النبيُّ ﷺ فلم يصحَّ عنه أنَّه ذكره بحرفٍ واحدٍ، إلا بقوله: «بينما أيُّوب يغتسلُ عرياناً خرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيُّوب يحثي في ثوبه،

فناداه ربُّه تبارك وتعالى: يا أيُّوب؛ ألم أكنْ أغنيتك عمَّا ترى؟ قال: بلى، ولكن لا غِنى لي عن بركتك». وإذا لم يصحَّ فيه قرآن ولا سُنَّة، فمن الذي يوصل السَّامع إلى أيُّوب بخبره؟ أم بأيِّ لسان سمعه؟

والإسرائيليَّات مرفوضةٌ عند العلماء ألبتة، فأعرض عن سطورها بَصَرك، واصممْ عن سماعها أذنيك، فإنَّها لا تُعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً[1].

والخلاصة، أنَّه لا سلطانَ للشَّيطان على أيُّوب عليه السلام في الحقيقة، وأنَّ الله هو الذي ابتلاه بالنّصب في بدنه، والعذاب في ماله، ولكنَّه ما نسبَ ذلك إلى الله أدباً في مخاطبته، وفي نِسْبة الأمور إليه[2].

ثانياً: سِفْر منسوبٌ إلى أيُّوب في العهد القديم:

وَرَدَ الحديثُ عن أيُّوب عليه السلام في العهد القديم، وخصَّص مؤلِّفو العهدِ القديم له سِفْراً خاصَّاً، وهو السِّفْرُ الثامن عشر من أسفار العهد القديم، وتحدَّثوا عنه في اثنين وأربعين إصحاحاً، وفصَّلوا الكلامَ عن سيرته وأمراضه، وتَسْليط الشَّيطان عليه وإهلاكه لأمواله وأولاده، ثمَّ إصابته بالأمراض العديدة المنفِّرة، كما فصَّلوا في الحوارات بينه وبين أصدقائه الذين كانوا يزورونه، ويطمئنون على صحته.

وقد صَوَّر مؤلِّفو (سِفْر أيُّوب) في العهد القديم أيُّوبَ عليه السلام بصورة الإنسان المُحْبَط الجَزِع اليائس ممَّا أصابه من الابتلاء والأمراض، الإنسان الكاره للحياة، الذي يتمنَّى الموت، الإنسان السَّاخط على الله المحتجّ عليه، المعترض على قَدَره، الذي يُكلِّمه بعباراتٍ كلّها وقاحة

(١) تفسير القرطبي، (١٥/ ٢١٠).
(٢) القصص القرآني، (٤/ ٢٢).

وشكوى واعتراض ولؤم وتأنيب، عبارات نجزمُ جزماً أنَّها لم تصدرْ عن نبيِّ الله أيُّوب عليه السلام. وقد استهوتْ هذه التفصيلاتُ عن أيُّوب عليه السلام في التراث الإسرائيلي بعضَ المؤرِّخين والمفسِّرين من المسلمين، فأوردوها في تواريخهم وتفاسيرهم، وفسَّروا بها كلام الله سبحانه[١].

١ ـ رأي عباس محمود العقَّاد رحمه الله في سِفْر أيُّوب:

يبدو سِفْر أيُّوب غريباً في موضعه وموضوعه بين أسفار العهد القديم، ولم يكنْ من عادة بني إسرائيل أن يجمعوا كِتاباً لغير أنبيائهم المتحدِّثين عن ميثاقهم وميعادهم، ولكنَّهم جمعوا هذا السِّفْر من الأسفار المشهورة؛ لأنَّهم وجدوه في بِقاع فلسطين الجنوبيَّة محفوظاً يتذاكرُه الرواة، وحسبه بعضُهم من كلام موسى، وبعضهم من كلام سليمان[٢].

٢ ـ رأي الدكتور سامر العامري:

سِفْر أيُّوب لم يقرِّبنا إلى القصَّة الأصلية، فهو مجهولُ التاريخ[٣].

٣ ـ قول الدكتور محمد بيومي مهران:

سِفْر أيُّوب موضعُ خلافٍ بين الباحثين، فهنالك مَنْ يُرجعه إلى عصر الآباء الأوائل، بل إنَّ (هاليس) إنَّما يجعل من عام (٢٣٠٠ق.م) تاريخاً لأيُّوب، اعتماداً على أنَّ السِّفْر لم يُشر بكلمة واحدة إلى خروج بني إسرائيل من مصر، والذي نراه حوالي عام (١٢١٤ق.م)[٤].

---

(١) القصص القرآني، المصدر السَّابق، (٤/ ١٠).

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ٢٠٠٧م، ص١٦٣.

(٣) الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأكيولوجي، سامي العامري، ٢٠٢١م، ص٣٣٧.

(٤) دراسات تاريخية من القرآن، (٣/ ٢٢٧).

على أنَّ هناك وجهاً للنظر يذهبُ إلى أنَّ سِفْر أيُّوب إنَّما كُتب أيَّام سليمان (٩٦٠ ـ ٩٢٢ ق.م)، وحُجَّتهم أنَّه يحملُ بين ثناياه إشارات إلى ذلك العهد. على أنَّ هناك وجهاً ثالثاً للنظر يذهبُ إلى أنَّ السِّفْر قد كُتب قبل السَّبي البابلي (٥٨٦ ـ ٥٣٩ ق.م). وهناك وجهٌ رابع للنظر يذهبُ إلى أنَّ سِفْر أيوب إنَّما كُتب بعد السبي البابلي؛ بسبب الصِّراع الواضح فيه بين الثواب والعقاب[١].

وأمَّا لغةُ سِفْر أيُّوب ففيها تأثيراتٌ آراميَّة وعربيَّة لا تخطئها عين، وربَّما تشيرُ إلى تاريخ متأخِّر لكتابة السِّفْر، ومن ثُمَّ فقد ذهب البعضُ إلى أنَّه إنَّما كُتب حوالي عام (٤٠٠ق.م)، وفضَّل آخرون القولَ بأنَّه كُتب خلالَ القرونِ الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد[٢].

٤ ـ رأي أحمد بهجت في تعليقه على سِفْر أيُّوب:

ونحن نرفضُ هذا كلَّه كحقيقة واقعيَّة، ولا نرى بأساً من قبوله كعمل فنِّي حكاه بعد ذلك الشُّعراء على لسانه، وبالغوا في وَصْفِه وإحساسه هذه المبالغة الأدبيَّة[٣]. وعلَّق الدكتور أحمد بهجت على سِفْر أيُّوب، فقال: انظرْ إلى تعبير التوراة: (فخرج الشَّيطان من حضرة الرب)، نعلم ـ كمسلمين ـ أنَّ الشَّيطانَ قد خرج من حضرة الربِّ منذ أن خَلَقَ الربُّ آدم عليه الصلاة والسلام، فمتى عاد الشَّيطانُ إلى حضرة الرب؟ نحن أمام تعبيرٍ أدبيٍّ ولسنا أمام حقيقة ماديَّة[٤].

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن، المصدر السَّابق، (٣/ ٢٢٨).

(٢) دراسات تاريخية من القرآن، المصدر السَّابق، (٣/ ٢٢٩).

(٣) أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ٢٠٠٦م، ص٢٠٥.

(٤) أنبياء الله، أحمد بهجت، ص٢٠٦.

ثالثاً: ذِكْر أيُّوب عليه السلام في القرآن الكريم:

ورد اسم أيُّوب عليه السلام في القرآن الكريم في سورة النساء، والأنعام، والأنبياء، وص.

١ ـ أيُّوب عليه السلام في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة النساء:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥].

وهذا السِّياقُ القرآني يتحدَّث عن موكبٍ واحدٍ يتراءى عن طريق التاريخ البشري الموصول، ورسالة واحدة بِهَدْي واحد للإنذار والتبشير، وموكب واحد يضمُّ هذه الصَّفوة المختارة من البشر: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيُّوب ويونس وهارون وسليمان وداود وموسى، وغيرهم ممَّن قصَّهم الله على نبيِّه ﷺ في القرآن الكريم، وممَّن لم يقصَّ عليه، موكب من شتَّى الأقوام والأجناس، وشتَّى البقاع والأرضين في شتَّى الأوان والأزمان، لا يفرِّقهم نسبٌ ولا جنس ولا أرض ولا وطن، ولا زمن ولا بيئة، كلّهم آتٍ من ذلك المصدر الكريم، وكلُّهم يحملُ ذلك النور الهادي، وكلُّهم يؤدِّي الإنذار والتبشير، وكلُّهم يحاولُ أن يأخذَ بزمامِ القافلة إلى ذلك النور، سواء منهم من جاء لقوم، ومن جاء لمدينة، ومن جاء لقُطْر، ثمَّ من جاء للناس أجمعين محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيِّين.

كلُّهم تلقَّى الوحيَ من الله فما جاء بشيء من عنده، أولئك الرُّسل

ـ منهم مَنْ قصَّ الله على رسوله ومنهم من لم يقصَّ ـ اقتضت عدالةُ الله ورحمته أن يبعثَ بهم إلى عباده يبشِّرونهم بما أعدَّه الله للمؤمنين الطَّائعين من نعيم ورضوان، وينذرونهم ما أعدَّ الله للكافرين العصاة من جحيم وغضب، كل ذلك: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

ولله الحُجَّة البالغة في الأنفس والآفاق، ولكنَّه سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده، وتقديراً لغلبةِ الشَّهوات على تلك الأداة العظيمة التي أعطاها لهم ـ أداة العقل ـ اقتضت رحمتُه وحِكْمتُه أن يُرسل إليهم الرُّسلَ مبشِّرين ومنذرين يُذكِّرونهم ويُبصِّرونهم، ويحاولون استنقاذ فطرتهم، وتحرير عقولهم من رُكَام الشَّهوات، التي تحجبُ عنها، أو تحجبها عن دلائل الهدى، وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق:

- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].
- ﴿عَزِيزًا﴾؛ قادراً على أَخْذ العباد بما كسبوا.
- ﴿حَكِيمًا﴾؛ يدبِّر الأمر كلَّه بالحكمة، ويضع كلَّ أمر في نصابه[(١)].

وإننا نقفُ أمام عظمة العدل الذي يُرتِّب للناس حُجَّة على الله سبحانه لو لم يرسلْ إليهم الرُّسل مبشِّرين ومنذرين، وهذا ما جعل كتاب الكون المفتوح وكتاب النفس المكنون تُحشد فيهما الآيات والشواهد على الخالق، ووحدانيّته وتدبيره وتقديره، وقدرته وعلمه، مع امتلاء الفطرة بالأشواق والهواتف إلى الاتصال ببارئها والإذعان له، والتناسق والتجاوب والتجاذب بينها وبين دلائل وجود الخالق في الكون والنفس، مع هبة العقل الذي يملكُ أن يُحصي الشواهد، ويستنبط النتائج، ولكنَّ الله سبحانه

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثامنة والعشرون، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، (٢/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦).

بما يعلمُ من عوامل الضعف التي تطرأ على هذه القوى كلّها، فيعطّلها، أو يفسدها، أو يطمسها، أو يدخل في حُكْمها الخطأ والشطط، قد أعفى الله من حُجِّية الكون، وحُجِّية الفطرة، وحُجِّية العقل، ما لم يرسل إليهم الرُّسل، ليستنقذوا هذه الأجهزة كلَّها ممَّا قد يرينُ عليها، وليضبطوا بموازين الحق الإلهيِّ الممثَّل في الرسالة، هذه الأجهزة فتصحُّ أحكامها حين تستقيم على ضوابطِ المنهج الإلهي، أو تسقط حُجِّيتها وتستحقُّ العقاب[1]. وخطأٌ وضلالٌ ـ إن لم يكنْ هو الخداع والتضليل ـ كلُّ زَعْمٍ يقول: إنَّ العقولَ الكبيرة كانت حَرِيَّة أن تبلغ دون الرسالة ما بَلَغته بالرسالة، فالعقل ينضبط مع الرسالة بمنهج النظر الصحيح، وآية أنَّ ما يتمُّ بالرسالة ـ عن طريق العقل نفسه ـ لا يمكنُ أن يتمَّ بغيرها، فلا يستغني العقلُ البشري عنها.

إنَّ تاريخ البشريَّة لم يسجِّل أنَّ عقلاً واحداً من العقول الكبيرة النَّادرة اهتدى إلى مثل ما اهتدتْ إليه العقولُ العاديَّة والمتوسِّطة بالرسالة.

ـ لا في تصوُّر اعتقادي.

ـ ولا في خُلُق نفسي.

ـ ولا في نظام حياة.

ـ ولا في تشريع واحد لهذا النظام.

إنَّ عقولَ أفلاطون وأرسطو من العقول الكبيرة قطعاً، بل إنَّهم ليقولون: إنَّ عقل أرسطو هو أكبر عقل عرفته البشريَّة ـ بعيداً عن رسالة الله وهداه ـ فإذا نحن راجعنا تصوُّره لإلهه ـ كما وصفه ـ رأينا المسافةَ الهائلةَ التي تفصله عن تصوُّر المسلم العادي لإلهه مهتدياً بهدي الرسالة[2].

---

(١) في ظلال القرآن، (٢/ ٨١١).

(٢) في ظلال القرآن، المصدر السَّابق، (٢/ ٨١١).

فسبحان الله الذي قال في كتابه الكريم: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ونلاحظ في الآية الكريمة، أنَّها لا تُراعي التسلسلَ التاريخي في هذا العرض ـ كما يُلاحظ في مواضع أخرى ـ لأنَّ المقصودَ هنا هو الموكبُ بجملته، لا تسلسله التاريخي.

ومن جُمْلة من ذُكر في هذا الموكب العظيم من الأنبياء والمرسلين: أيُّوب عليه السلام، ومِن ثَمَّ دخل في مقام النُّبوَّة والرسالة، وفيمن أوحى اللهُ إليهم برسالته.

٢ ـ أيُّوب عليه السلام في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة الأنعام:

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠].

وكانت التعقيبات على هذا الموكب المبارك:

ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ـ ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

ـ ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وكلُّها تعقيباتٌ تقرِّر إحسانَ هذا الرهط الكريم، واصطفاءه من الله،

وهدايته إلى الطريق المستقيم، وذِكْرُ هذا الرهط على هذا النحو، واستعراضُ هذا الموكب من هذه الصورة كلّه تمهيدٌ للتقريرات التي تليه:

- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]:

هذا تقريرٌ لينابيع الهدى في الأرض، فهديُ الله للبشر يتمثَّل فيما جاءت به الرُّسلُ، وينحصر المستيقَنُ فيه، والذي يجب اتِّباعه في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله سبحانه وتعالى أنَّه هو هدى الله، وأنَّه هو الذي يهدي إليه مَنْ يختار من عباده، ولو أنَّ هؤلاء العباد المهديِّين حادُوا عن توحيد الله وتوحيد المصدر الذي يستمدُّون منه هداه، وأشركوا بالله في الاعتقاد أو العبادة أو التلقِّي فإنَّ مصيرهم أن يحبطَ عملهم، أي: أن يذهبَ ضياعاً، ويهلك كما تهلك الدابَّة التي ترعى نبتاً مسموماً، فتشبع ثُمَّ تموت، وهذا هو الأصلُ اللغويُّ للحبوط.

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]؛ وهذا هو التقرير الثاني، فقرَّر في الأوّل مصدر الهدى، وقَصَره على هدى الله الذي جاءتْ به الرُّسل، وقَرَّر في الثاني أنَّ الرُّسلَ الذين ذكرهم، والذين أشار إليهم؛ هم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والسلطان والنُّبوَّة.

- ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾؛ يجيء بمعنى (الحكمة) كما يجيء بمعنى (السلطان) كذلك، وكلا المعنيين محتملٌ في الآية، فهؤلاء الرُّسل أنزل الله على بعضهم الكتابَ كالتوراة مع موسى، والزبور مع داود، والإنجيل مع عيسى، وبعضهم آتاهم الله الحكمة، كداود وسليمان، وكلّهم أُوتي السُّلطان على معنى أنَّ ما معه مِنَ الدين هو حكم الله، وأنّ الدين الذي جاؤوا به يحمل سلطان الله على النفوس وعلى الأمور، فما أرسل الله

الرُّسل إلا ليُطاعوا، وما أنزل الكتاب إلا ليحكم بين النَّاس بالقِسْط، كما جاء في الآيات الأخرى، وكلّهم أوتي الحكمة وأوتي النُّبوَّة، وأولئك هم الذين وكَّلهم الله بدينه، يحملُونه إلى النَّاس، ويقومون عليه ويؤمنون به ويحفظونه، فإذا كفر بالكتاب والحكمة والنُّبوَّة مشركو العرب: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فإنَّ دِيْنَ الله غنيٌّ عنهم، وهؤلاء الرهطُ الكرامُ والمؤمنون بهم هم حَسبُ هذا الدين[١].

إنَّها حقيقةٌ قديمة امتدَّت شجرتُها، وموكب موصول تماسكتْ حلقاته، ودعوة واحدة حملها رسولٌ بعد رسول، وآمن بها، ويؤمن من يَقسم الله له الهداية، لما يعلمه من استحقاقه للهداية، وهو تقريرٌ يسكبُ الطمأنينةَ في قلب المؤمن، وفي قلوب العَصَبة المسلمة ـ أيَّاً كان عددها ـ إنَّ هذه العصبةَ ليست وحدها، ليست مقطوعةً من شجرة، إنَّها فرعٌ منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكبٍ جليلٍ موصول، موصولة أسبابه بالله وهداه.

إنَّ المؤمنَ الفرد، في أيِّ أرض وفي أيِّ جيل قويٌّ قويٌّ، وكبيرٌ كبيرٌ، إنَّه من تلك الشجرة المتينة السَّامقة الضَّاربة الجذور في أعماق الفطرة البشريَّة، وفي أعماق التاريخ الإنسانيِّ، وعضو في ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهُداه منذ أقدم العصور[٢].

ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهو التقريرُ الثالث: فهؤلاء الرهطُ الكرام الذين يقودون موكبَ الإيمان هم الذين هداهم الله، وهُداهم الذي جاءهم من عند الله فيه القُدْوَةُ لرسول الله تعالى ومن آمن به.

---

(١) في ظلال القرآن، (٢/ ١١٤٤).

(٢) في ظلال القرآن، (٢/ ١١٤٤).

فهذا الهدى وحده هو الذي يسيرُ عليه، وهذا الهديُ وحده هو الذي يحثُّكم إليه، وهذا الهديُ وحده هو الذي يدعو إليه ويُبشِّر به قائلاً لمن يدعوهم: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠] للعالمين: لا يختصُّ به قومٌ ولا جنس ولا قريب ولا بعيد، إنَّه هدى الله لتذكير البشر كافَّة، ومن ثمَّ فلا أجر عليه يتقاضاه، وإنَّما أجره على الله[١].

(١) في ظلال القرآن، (٢/ ١١٤٥).

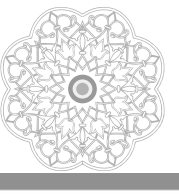

المبحث الثاني

قصَّة أيُّوب عليه السلام في سورة الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

ذَكر الله عز وجل شيئاً من قصَّة أيُّوب عليه السلام في سورة الأنبياء، وهي مكيَّة وآياتها اثنتا عشرة ومئة، بين يدي السورة، وسورة الأنبياء تعالج موضوع العقيدة الإسلامية في ميادينها الكبيرة: الرسالة، الوحدانيَّة، البعث، والجزاء، وتتحدَّث عن السَّاعة وشدائدها، والقيامة وأهوالها، وعن قصص الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتحدَّثت بإسهابٍ عن قصَّة إبراهيم عليه السلام مع قومه الوثنيِّين في أسلوب مشوِّق فيه نصاعة البيان، وقوَّة الحجَّة والبرهان، ما يجعل الخصم يقرُّ بالهزيمة في خشوع واستسلام، وفي قصَّته عِبَر وعِظات. وتتابع السورةُ الحديثَ عن الرُّسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فتتحدَّث عن إسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيُّوب وإسماعيل، وإدريس وذي الكفل، وزكريَّا، وعيسى بإيجاز، مع بيان الأهوال والشَّدائد التي تعرَّضوا لها، وتختم ببيان رسالة سيِّد المرسلين حبيبنا محمد ﷺ رحمة للعالمين[1].

---

(١) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، دار الأمان، الرباط، ص١٦٣.

واستخدمت السورة أسلوبين لإثبات العقيدة:

الأوّل: أسلوب التقرير والمجادلة كما في سورة الأنعام.

والثاني: أسلوب القصص كما في سورة الأعراف[١]. وذكر فيها ستَّة عشر نبيًّا، ولم يأتِ في سُوَر القرآن مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء في سورة من السور، عدا ما في سورة الأنعام، ذكر فيها ثمانية عشر نبيًّا ورسولاً[٢]. وإليك تفسير الآياتِ التي ذكرت قصَّة أيوب عليه السلام:

أوَّلاً: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

هذه قصَّة نبيِّ الله أيُّوب عليه السلام عُطفتْ على قصَّة داود وسليمان عليهما السلام، التي عُطفت على قصَّة نوح عليه السلام، التي عُطفت على قصَّة إبراهيم ولوط عليهما السلام، فهذه السورةُ تضمُّ حشداً كبيراً من الأنبياء عليهم السلام، وقد مرَّ قبل أيُّوب سبعةُ أنبياء وبعده (إسماعيل وإدريس وذو الكفل،) (وذو النون) (وزكريا) (ويحيى) فهؤلاء ستة، ثمَّ مريم وابنها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، فالسورة اسم على مسمّى[٣].

١ ـ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾:

الواو للعطف، وعطفت قصَّة على قصَّة، واستجابة على استجابة، ونِداء على نداء، ونجاة على نجاة[٤].

---

(١) الخارطة القرآنية، مشعل الفلاحي، دار القلم، دمشق، ٢٠٢٢م، ص١٥٥.

(٢) مقاصد سور القرآن الكريم، منذر محمد، المكتب الإسلامي، ٢٠٢١م، ص١٣٤.

(٣) تفسير سورة الأنبياء، د. أحمد نوفل، ص٤٠٧.

(٤) تفسير سورة الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٠٧.

أ ـ ﴿وَأَيُّوبَ﴾:

نُصب اسمُ النبيِّ الكريم عطفاً على مَنْ قبله، بتقدير: (واذكر أيُّوب)، أو (ونجَّينا أيُّوب) أو (وأحببنا أيُّوب)[١]. وقيل: سُمِّي أيُّوبَ لأنَّه آبَ إلى الله سبحانه وتعالى وهو العبد الصَّالح الأوَّاب[٢]. وأيُّوب لفظ عربي قديم، وهو يتضمَّن المعاني والدلالات الكثيرة البنَّاءة[٣].

ب ـ ﴿إِذْ﴾:

ظرفٌ لما مضى من الزمان، يُستخدم لاستحضار لقطة معيَّنة من قصَّة مطوَّلة، يُراد التوقُّف من القصَّة عند هذه اللقطة، فهي المعيَّنة والمقصودة، والمنسجمةُ مع جوِّ السِّياق والسورة[٤].

ج ـ ﴿نَادَىٰ﴾:

جوُّ سورة الأنبياء نداء واستجابة، ومعنى ﴿نَادَىٰ﴾؛ دعاء، واستغاثة، وتضرُّع، وناجى ربّه بحاجته فناجاه[٥].

﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾؛ دعاه وناداه بمطلوب[٦].

د ـ ﴿رَبَّهُۥ﴾:

مولاه وسيِّده، وخالقه، ومصرِّف شؤونه، ومالك أمره كلِّه[٧].

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٠٨.

(٢) أحسن القصص، د. زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٨م، ص٢٨٤.

(٣) أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها، خالد محمد خالد، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ط١، ٢٠١٦م، ص١٩٣.

(٤) تفسير سورة الأنبياء، ص٤٠٨.

(٥) تفسير سورة الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٠٨.

(٦) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٢م، (٩٦١٦/١٥).

(٧) تفسير سورة الأنبياء، ص٤٠٨.

وهذا النداءُ والدُّعاءُ من أيُّوب عليه السلام يدلُّ على علمه وحكمته وإيمانه العميق بالرب سبحانه وتعالى، فأيُّوب عليه السلام نادى الخالقَ العظيم المدبِّر لهذا الكون، ربَّ كلِّ شيء وخالقه ومليكه، والقادر عليه، والمتصرِّف في جميع أموره، وبهذا فإنَّه لا يخرج شيء عن ربوبيَّته، فكان أيُّوب عليه السلام على يقين واعتقاد راسخ، وكلُّ الأنبياء والمؤمنين بالله عز وجل بأنَّه لا يخرج شيءٌ عن ربوبيَّته، وكلُّ مَنْ في السموات والأرض عبدٌ له في قبضته وتحت قهره، ولذلك نتعلَّم من قصَّة أيُّوب عليه السلام، أنَّ من معاني الربوبية اختصاصه سُبحانه بجلب المنافع، ودفع المضار، وتفريج الكروب، وقضاء الحوادث.

ونتعلَّم من قصَّة أيوب عليه السلام أنه كلَّما عرف العبدُ ربَّه بأسمائه وصفاته أثَّر هذا في دعائه، وقوَّة رجائه، ولجوئه وتضرُّعه لربِّه سبحانه، والوثوق بكفايته سبحانه، وقدرته على قضاء حوائج عباده؛ ولذلك نرى في أدعية أنبيائه سبحانه وتعالى وأوليائه تكرار الدُّعاء بقولهم: (ربَّنا) (ربِّ)[1].

ومن أخصِّ صفات الربِّ عز وجل الرحمة، والرأفة بعباده، وأنَّها من موجبات ربوبيَّته، ومن ذلك تربيته لعباده وإنعامه عليهم، وإرساله الرُّسل إليهم، وإنذارهم وتبشيرهم، وهذه هي من لوازم التربية العامَّة، وأمَّا التربيةُ الخاصَّة من الله عز وجل لأوليائه بتوفيقهم، وحفظهم ورعايتهم وتربيتهم، فالرحمةُ والرأفة والمغفرة واضحةٌ جليَّة في ذلك[2].

- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ فيه إشارةٌ إلى أنَّ الأنبياء هم أفضلُ قُدْوَة

(١) ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز الجليل، ٢٠١٥م، ص١٠٠.
(٢) ولله الأسماء الحسنى، المصدر السَّابق، ص١٠٢.

وأُسْوة للخلق أجمعين؛ ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠][١].

٢ ـ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾:

ما ألطفَ تعبيره ﴿مَسَّنِيَ﴾ كأنه مجرَّد مسّ، فلم يقل: اشتدَّ بي المرض أو أقعدني، أو هدَّني أو استفحل، أو نحو هذا، ولكن ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣] مجرَّد الضرِّ، وهو لفظ عام لكلِّ أذى وخاصَّة البدن، ومجرَّد مسٍّ، وهو يعني أقلَّ ملامسة، ولكن ما الضُّرُّ الذي مسَّه، لم يذكر النصّ شيئاً مما حَشَده النَّاس من أمراض متنوِّعة بَنَتها عقولهم، وصارت حكايات للمتعة المجرَّدة، أو أخذتها عن أكاذيب نسجتها المرويَّات الإسرائيليَّة، التي تنزَّه الأنبياء عليهم السلام عنها، وهم كذلك منزَّهون عن الأمراض المنفِّرة التي تبعدُ أقوامَهم عنهم، وإلا كيف سيوصلون دعوتهم إلى الله عند ذلك، وبعد ذلك، فذلك ممَّا يقدح فيهم، وفي جمال النصِّ، وبلاغته، ودلالته، ما يغني عن ذلك كلّه[٢].

أ ـ الفرق بين الضُّر بالضم والضَّر بالفتح:

الضُّر مشتقٌّ من (ضَرَرَ)، يُقال: ضرَّه ضرّاً وضرراً؛ إذا ألحق به مكروهاً أو أذى.

والضُّر: هو ما كان من سوء حال، أو فقر، أو شدَّة في البدن[٣].

وقد جعل الإمامُ الرَّاغب الضُّرَّ على ثلاثة أوجه، وقال:

الضُّرُّ: سوء الحال، إمَّا في نفسه: لقلَّة العلم والفضل والعفَّة.

---

(١) تأمّلات في قصَّة نبي الله أيوب، ص١٢.
(٢) تفسير سورة الأنبياء، ص٤٠٨.
(٣) القصص القرآني، (٤/ ١٢).

وإمَّا في بدنه: لعدم جارحة ونقص، وإمَّا في حالة ظاهرة: من قلَّة مال وجاه.

وقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ محتمل لهذه الثلاثة[١].

وقد وَرَدَ في القرآن مصدران: الضَّر بالفتح، والضُّر بالضم، وليسا بمعنى واحد.

الضَّر ـ بفتح الضَّاد ـ وَرَدَ عشر مرات، وهو في هذه المرَّات كلِّها مذكورٌ في مقابلة النفع، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ [المائدة: ٧٦].

وفي قوله: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣].

وأمَّا الضُّر ـ بضمِّ الضَّاد ـ فقد وَرَدَ تسع عشرة مرَّة، وهو في هذه المرَّات كلِّها مطلق، لم يُذكر مقابله النفع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وكما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وبما أنَّه بالفتح مقرونٌ بالنفع، وبالضَّمِّ مطلق، فيبدو أنَّ (الضُّر) أعمُّ، لأنَّه لم يُذكر ما يقابله في القرآن، أمَّا (الضَّر) بالفتح فهو أخص، ويدلُّ قول أيُّوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣] على أنَّ الله ابتلاه ابتلاءً عامَّاً، فأوقع به ضُرَّاً مطلقاً، شاملاً لعدَّة أنواع من المكروه والأذى.

مسَّه الضُّر في نفسه وبدنه، حيث أصابه المرض والضعف، ومسَّه الضُّرُّ في أهله وأولاده، ومسَّه الضُّرُّ في أمواله وممتلكاته.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م، ص٥٠٣.

وعدم تقييد المجال الذي أصابه الضُّر في الآية ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣] يدلُّ على العموم والشمول، واستغراق كلِّ المجالات والجوانب(١).

ب ـ تفسير الإمام القرطبي رحمه الله لقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣]:

ذَكَر رحمه الله أقوالَ العلماء في ذلك، ومنها:

الأوّل: قام ليصلّي فلم يقدرْ على النهوض، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣]؛ إخباراً عن حاله لا شكوى لبلائه.

الثاني: إنه إقرارٌ بالعجز والضعف لا شكوى لبلائه، وهذا الإقرارُ هو مخُّ العبوديَّة، فلم يكنْ منافياً للصبر.

الثالث: إنَّه سبحانه أجراه على لسانه إفصاحاً عن صفة الآدميِّ في الضعف عن تحمُّل البلاء ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

الرَّابع: إنَّه سبحانه أجراه على لسانه ليكون حُجَّة لأهل البلاء بعده، في الإفصاح عما ينزل بهم.

الخامس: إنَّه انقطع عنه الوحي أربعين يوماً، فخاف هجران ربِّه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣].

السادس: إنَّه أُبهم عليه جهة أَخْذ البلاء له، هل هو تأديب أو تعذيب أو تخصيص أو تمحيص أو ذُخْر له، أو طُهْر، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣]؛ أي: ضر الإشكال، وهذا القولُ انتقده الفقيه المالكي ابن العربي، لما فيه من الغلوّ.

السابع: أنَّ معنى ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣] أي: من شماتة

---

(١) القصص القرآني، (٤/ ١٣).

الأعداء، ولهذا قيل له: ما كان أشدّ عليك من بلائك؟ قال: شماتة الأعداء.

وسُئل الإمام الجُنَيْد رحمه الله عن هذه الآية: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ فقال: عرَّفه فاقةَ السؤال ليمنَّ عليه بكرم النوال[١].

ج ـ قال الإمام المراغي رحمه الله:

وصف أيُّوب نفسه بما يستحق به الرحمة، ووصف ربَّه بغاية الرحمة، ولم يصرِّح بمطلوبه؛ إيماء منه بأنَّ ربَّه به عليم، فكأنَّه يقول: أنا أهلٌ لأن أُرحم وأنت الكريم الجواد الذي يرحم، فَأَفِضْ عليَّ من جودك ورحمتك ما يدفع الضُّرَّ عنِّي فأنت أرحم الرَّاحمين. وأسلوبُ الطلب هذا دقيق المسلك، حكيم المنْحَى[٢].

د ـ ويقول العلامة أبو البركات النسفي رحمه الله:

وهو يصفُ الحالَ لمن ضربت به في الصَّبْر الأمثال؛ إذ فيه قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقيل: إنَّما شكا إليه تلذّذاً بالنجوى، لا منه تضرُّراً بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب، كما أنَّ الشكايةَ منه غاية البعد[٣].

هـ ـ وقال الشيخ الطَّاهر بن عاشور رحمه الله:

في قوله: ﴿أَنِّى مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣] ـ بفتح الهمزة ـ علة تقدير باء الجر، أي: نادى ربّه بأنِّي مسني الضُّرُّ.

والمسُّ: الإصابة الخفيفة، والتعبير به حكاية لما سلكه أيُّوب عليه

---

(١) تفسير القرطبي، (١٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ٢٠٠٧م، (١٧/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) مع الأنبياء، ص٤١٠.

السلام في دعائه من الأدب مع الله؛ إذ جعل ما فيه من الضُّرّ كالمسِّ الخفيف، والضُّرُّ ـ بضمِّ الضَّاد ـ ما يتضرَّر به المرء في جسده من مرض أو هزال، أو في ماله من نقص ونحوه.

٣ ـ ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

وبعدما ذكر أيُّوب عليه السلام حالته بهذه الجملة الموجزة ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ذكر رحمة الله الغامرة، فقال: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وهذه الجملةُ الاسميَّة ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ في محلِّ نصب حال؛ لأنَّ (الواو) فيها هي واو الحال، أي: أنا مسَّني الضُّرُّ، والحال أنَّك أرحم الرَّاحمين.

ومعنى هذه الجملة أنَّ أيُّوب عليه السلام يتوسَّل إلى الله برحمته أن يكشفَ عنه ضُرَّه، فالله رحمن رحيم، وهو أرحمُ الرَّاحمين، ومن مظاهر رحمته أن يكشفَ الضُّرَّ عن عباده، وخاصَّة إذا كانوا عباداً صالحين كأيُّوب عليه السلام.

وعندما ننظر في دعاء أيُّوب عليه السلام لربّه، فسوف نرى أنَّه كان في غاية الأدب مع الله، والرضا بقدر الله، والرغبة في كشفِ ابتلاء الله.

إنَّه لم يفصِّل في الضُّرِّ الذي مسَّه، ولم يسترسلْ في الكلام عنه، فقط أشار إلى أنَّ هذا الضُّرَّ مسَّه، ليس في دعائه شكوى أو سخط، ولا تبرُّم ولا اعتراض، فلم يعترضْ على ابتلاء الله له، ولم يسخطْ على قدر الله[1].

ولا شكَّ في أنَّ صورةَ الالتجاء إلى الله على هذه الكيفيَّة إنَّما هي صورةٌ من صور الأدب العالي في الدُّعاء، وما من شكٍّ في أنَّ أيُّوب

(١) القصص القرآني، (٤/ ١٤).

عليه السلام عندما توجَّه إلى الله بهذا النداء قد بَلَغَ من الاضطرار إلى الحدِّ الأعلى[١]، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ودعاء أيُّوب عليه السلام لربِّه، وتوسُّله برحمته، ليكشف عنه الضُّرَّ، دليلٌ على أنَّ الأصل في المبتلى بالضُّرِّ أن يطلبَ من الله كَشْفَ ضُرِّه، وأنْ يتضرَّع إليه، ويدعوه راغباً في ذلك، على شرط أن يكونَ دعاؤه وتضرُّعه بأدب مع الله، وعدم الاعتراض عليه، أو السخط على قدره، وهذا الدُّعاء والتَّضرُّع من لوازم الإيمان بالله، ولا ينافي تسليم الأمر لله، والرضا بقدره، وإنَّ الله يريد من عباده دعاءه، وطلب حاجاتهم منه[٢].

وأيُّوب عليه السلام في أدبه الرفيع في تضرُّعه ودعائه يعلِّمنا بسيرته وسلوكه وكلماته وصَبْره واحتسابه، كيف نتعاملُ مع الله في الدُّعاء والاستغاثة به، والتوكُّل عليه سبحانه وتعالى، فهنا في دعائه لا يزيدُ على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ووصف ربَّه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ثمَّ لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربِّه، تأدُّباً معه، وتوقيراً، وإنَّه ليتحرَّج أن يطلبَ إلى ربِّه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كلَّه إليه اطمئناناً إلى عِلمه بالحال، وغِناه عن السؤال[٣].

وقصَّةُ أيُّوب عليه السلام في هذه الآية فيها دروسٌ وعبر وفوائد، ومنها:

ـ الضَّراعة إلى الله مطلوبة، والدُّعاء إلى الله مطلوب، والدُّعاء مشروع، بل هو عنوان العبوديَّة والافتقار.

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون، عبد الحليم محمود، ص١٦٥.
(٢) القصص القرآني، (٤/ ١٥).
(٣) في ظلال القرآن، (٤/ ٢٣٩٢).

ـ عرض الحاجات، وهو من غاية التأدُّب مع خالق الأرض والسموات.

ـ ألطف أيُّوب عليه السلام في السؤال، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربّه بغاية الرحمة، ولم يصرِّح بالمطلوب.

ـ لا ملجأ من الله إلا إلى الله في كلِّ حال ومآل.

ـ إذا سألت فاسألِ الكبير المتعال، وما أجمل من قال: [الكامل]

لا تسألنَّ بُنيَّ آدم حاجةً وسل الذي أبوابه لا تُحْجَبُ
الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤالَهُ وبُنيُّ آدم حين يُسأل يَغْضَبُ

ـ في سؤال الله تعالى عزَّةٌ، وانتظار الإجابة بركة ورحمة.

ـ التوجُّه إلى الله بشكوى الحال؛ حريٌّ بأن يستجيبَ سبحانه في الحال، أو في وقت حكمه بلا إهمال.

ـ الشِّكايةُ إلى الله غايةُ القرب، كما أنَّ الشكايةَ من الله غايةُ البعد.

ـ سؤال الله تعالى في كشف البلوى لا يعني تركَ التداوي، فإنَّه من الأخذ بالأسباب؛ التي أُمرنا بها، لرفع البلوى.

ـ عباد الله لا يُهوِّلون في تضرُّعهم لربِّهِم، ما يصيبهم من ابتلائه، بل يُهوِّنون منه، مجرَّد مس، مجرَّد ضُرّ، مقابل يقينهم بربِّهِم، قُرباً ورحمة وأجراً مدهشاً[1].

ـ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ كون الله أرحم الرَّاحمين؛ لأنَّ رحمته أكملُ الرحمات؛ لأنَّ كل من رحم غيره؛ فإمَّا أن يرحمه طلباً

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٢.

للثناء في الدُّنيا أو للثَّواب في الآخرة، أو دفعاً للرقَّة العارضة للنفس من مشاهدة من تحقُّ الرحمة له، فلم يخْلُ من قصد نفع لنفسه، وأمَّا رحمته تعالى عباده، فهي خاليةٌ من استجلاب فائدة لذاته العليَّة[١].

دعا أيوبُ عليه السلام ربَّه بأحد أسمائه المناسبة لهذا المقام ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فمن أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى: الرحمن، الرحيم، وهما مشتقَّان من الرحمة، وهي الرقَّة والحنوُّ والعطف[٢].

إنَّ أيُّوب عليه السلام كان عارفاً بالله عز وجل من خلال أسمائه وصفاته، ولذلك قال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وبعدما دعا أيُّوب عليه السلام ربَّه استجاب الله له، فكشف عنه ضُرَّه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ **[الأنبياء: ٨٤]:**

في الآية السَّابقة كان دعاء أيُّوب عليه السلام، وضراعته إلى ربِّه، وفي هذه الآية استجابة الدُّعاء، وكشف الضُّرِّ عنه، وهما متلازمان، فالآيتان متناسقتان أشدَّ التناسق، ومترابطتان متكاملتان، وهذه الآية (١٦) كلمة، و(٦٨) حرفاً، وترتيبها (٢٥٦٧).

ويُلاحظُ أنَّ عدد كلمات الآية (١٦)، وعدد حروفها (٦٨)، ومجموعها يساوي رقم الآية في السورة (٨٤)[٣].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٣م، (٧/ ٣٠٩).

(٢) إنه الله، شرح أسماء الله الحسنى، شريف فوزي، دار اللؤلؤة، ٢٠٢١م، ص٢٤.

(٣) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٣.

١ ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾:

بفاء التعقيب ابتدأتْ هذه الآية، لتدلِّل على سرعة الاستجابة عقب النِّداء، نداء الاستغاثة، الذي صدر عن أيُّوب عليه السلام.

وبِنُون الجمع التي للعظمة، والله واحد، وهذا من أساليب اللغة العربيَّة، ونون العظمة إذاً لتعظيم الاستجابة والمجيب، وكيف لا، وهي من العظيم سبحانه؟!

ووصل الضمير، الهاء بالله (له) وكان يمكن الاكتفاء، بالقول ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ ولكن عبَّر بهذه الطريقة، لتخصيص الاستجابة وتقويتها[1].

ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾؛ وهذه الاستجابةُ رحمة من الله به، وقدَّر الله أن يجعلها مترتِّبةً على الدُّعاء، فالدُّعاءُ سببٌ في الاستجابة، ولكنَّ المسبِّبَ والمقدِّرَ والمريدَ هو الله سبحانه.

وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][2].

إنَّ استجابةَ الله لدعاء عباده سُنَّة ثابتة، وعبادةٌ عظيمة، قام بها أيُّوب عليه السلام غاية القيام، مبيِّناً فَقْرَهُ المطلق لله عز وجل في كلِّ أحواله وشأنه.

وإنَّ المؤمنَ بالله إيماناً حقيقيَّاً يعلم أنَّه فقير إلى الله فقراً مُطْلَقاً في كلِّ الأحوال، راضياً بقضاء الله وقدره في كلِّ الظُّروف والأزمات.

٢ ـ ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾:

بفاء التعقيب أيضاً، فهذه الثانيةُ لتعزيز الأولى، ووصلها بالتفصيل

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٣١٤.

(٢) القصص القرآني، (٤/ ١٥).

يكشف الضُّرُّ ﴿فَكَشَفْنَا﴾، وكأنَّ الضُّرَّ كان سحابةً سوداء فانقشعت، وانكشفت.

- ﴿مَا﴾؛ موصوليَّة بمعنى الذي، وزاد التعيينُ والتحديدُ في الاستجابة.

- ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ أي: ذهب كلُّ شيء من الضُّرِّ، وكلمة ﴿مِّن ضُرٍّ﴾ تنفي عنه أية بقيَّة، أو أيَّة شائبة من ضُرٍّ، مهما كانت وهانت[١].

وجملةُ ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ بحرف العطف الفاء، الدالِّ على الفوريَّة، أي إنَّ كَشْفَ الضُّرِّ عنه كان مباشراً للاستجابة، وكان ثمرةً قويَّةً لها.

وكَشْفُ الضُّرِّ الذي مسَّه، وإزالته عنه، دليلٌ على رحمة الله به، بعدما نجح في الابتلاء، وصبر على البلاء، وإنَّ الله هو الذي يكشف الضُّرَّ عن عباده، ولا يزيله أحدٌ غيره سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

ولا تبيِّن الآيةُ كيفيَّة كَشْفِ الضُّرِّ عن أيُّوب عليه السلام، وإن كان هناك إشارةٌ خاطفةٌ في آية سورة ص، سنتوقَّف عندها قليلاً، عندما نصلُ إليها إن شاء الله[٢].

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ رَفَعَ عنه الضُّرَّ في بدنه، فإذا هو مُعافى صحيح، ورفع عنه الضُّرَّ في أهله، فعوَّضه عمَّا فُقِدَ منهم[٣].

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٤.

(٢) القصص القرآني، (٤/ ١٥).

(٣) في ظلال القرآن، (٤/ ٢٣٩٢).

٣ ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾:

ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ بنون العظمة، للمرة الثالثة، في هذه الآية: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾، ﴿فَكَشَفْنَا﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾، لتعزيز معنى عظمةِ الاستجابة، والمستجيب سبحانه وتعالى هو المجيب القريب.

ومعنى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ قال الطَّاهر بن عاشور رحمه الله: والإيتاء: الإعطاء، أي: أعطيناه أهله. وأهل الرجل: أهل بيته وقرابته، وفُهِمَ من تعريف الأهل بالإضافة أنَّ الإيتاء إرجاع ما سُلِبَ منه من أهل، يعني بموت أولاده وبناته. وهو على تقدير مضاف يعرف من السِّياق، أي: مثل أهله، بأن رُزق أولاداً بعدد ما فُقد، وزاده مثلهم، فيكون قد رُزق أربعةَ عشر ابناً وستَّ بنات من زوجه التي كانت بلغتْ سِنَّ العقم[(١)].

ـ ﴿أَهْلَهُۥ﴾؛ الأهل في المصطلح القرآني ـ ومنه أهل البيت ـ هم الزوجة بشكل أوَّلي، ثمَّ الأولاد. ويبدو أنَّ إيتاء الأهل كان كما قال عن امرأة زكريَّا عليهما السلام: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ويبدو من إشارة النَّصِّ أنَّه كان قد فقد أولاده كلَّهم أو بعضهم، من ضمن البلاء الذي امتحن الله به أيُّوب عليه السلام فوجده مولانا ﴿صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فعوَّضه الله ما ابتلاه بمضاعفة الأولاد.

٤ ـ ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾:

رحمة عظيمة خاصَّة من عندنا، وهذه نونُ العظمة الرَّابعة في هذه الآية، وكلّ عطاء من الله فهو عظيم، فالعظيم يهبُ على قدر كرمه، وعظمته، وجوده[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير، (٧/ ٣١٠).

(٢) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٥.

ـ ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾؛ وانتصب (رحمة) على المفعول لأجله، ووصف الرحمة بأنَّها من عند الله تنويهاً بشأنها، بذكر العنديَّة الدالَّة على القُرب المراد به التفضُّل. والمراد الرحمة بأيُّوب إذ قال: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣][(١)].

ـ ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾؛ وأضافها سبحانه إلى ذاته العليَّة، فهي رحمةٌ تليق بذاته الكريمة، وهو الرحمنُ الرحيم[(٢)].

٥ ـ ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾:

يعني: أنَّ الذي كان ابتلي به أيُّوب لم يكنْ من هَوانه على الله، ولكنَّ الله تبارك وتعالى أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاء للعابدين بعده فيما يُبتلون به[(٣)].

ـ ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾؛ تذكِّرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء، وبعد البلاء.

وإنَّ في بلاء أيُّوب لمثلاً للبشريَّة كلِّها.

وإنَّ في صبر أيُّوب لعبرة للبشريَّة كلِّها.

وإنَّه لأفق للصَّبر والأدب وحسن العاقبة، تتطلَّع إليه الأبصار.

والإشارة ﴿لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ بمناسبة البلاء إشارة لها، مغزاها: فالعابدون معرَّضون للابتلاء والبلاء، وتلك تكاليفُ العبادة، وتكاليفُ العقيدة، وتكاليفُ الإيمان، والأمر جدٌّ لا لعب، والعقيدةُ أمانةٌ لا تُسلَّم إلا للأمناء

---

(١) التحرير والتنوير، (٧/ ٣١٠).

(٢) زهرة التفاسير، (٩/ ٤٩٠٧).

(٣) موسوعة التفسير بالمأثور، المشرف العلمي مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشَّاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، (١٤/ ١٢٢).

القادرين عليها، المستعدِّين لتكاليفها، وليست كلمة تقولها الشفاه، ولا دعوى يدَّعيها مَنْ يشاء، إذْ لابُدَّ من الصَّبْر ليجتازَ العابدون البلاء[١].

أ ـ قال الإمام الزمخشريّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾:

أي: لرحمتنا بالعابدين؛ وأن نذكِّرهم بالإحسان لا ننساهم، أو رحمة منَّا لأيُّوب عليه السلام، وتذكير لغيره من العابدين ليصبروا كما صَبَر، حتَّى يُثابوا كما أُثيبَ في الدنيا والآخرة[٢].

ب ـ قال السَّعدي رحمه الله:

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾؛ أي: جعلناه عبرةً للعابدين، الذين ينتفعون بالعِبَر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثمَّ ما أثابه الله به بعد زواله، ونظروا إلى السبب؛ فوجدوه بالصَّبْر؛ ولهذا أثنى الله عليه به في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فجعلوه أُسوةً وقُدْوَةً عندما يُصيبهم الضُّرُّ[٣].

ج ـ قال المراغي رحمه الله:

إنَّ أيُّوب عليه السلام ابتُلي في نفسه، وولده، وماله، فابتُلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال امتحاناً من الله، واختباراً لأيوب، ثمَّ كشف عنه ما به من ضُرٍّ، فشُفِيَ من أمراضه التي أُصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحَسُنَ حالُه في ماله، فزال ما به من

---

(١) في ظلال القرآن، (٤/ ٢٣٩٢).

(٢) تفسير الزمخشري (الكشاف)، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٠١٣م، (٣/ ١٣١).

(٣) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م، ص٦٩٣.

عدم وإقتار، ولم يُصرِّح القرآنُ الكريم بما صار إليه من سعةٍ في المال، كما صرَّح بما صار إليه أمره من كثرة الولد[١].

د ـ قال الدكتور طه العلواني رحمه الله في قوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾:

من أراد أن يَعبُد اللهَ حقَّ عبادته مهما كانت ظروفه، فقصة أيُّوب عليه السلام تساعده وتُسْعفه، وتقدِّم له المثلَ الأفضل والأحسن، والنموذج الذي يُحتذى، فالعابدون أحوج النَّاس إلى أن تكونَ بين أيديهم أمثلة للصبر والاحتساب والشكر والاقتراب من الله جلَّ شأنه[٢].

ثالثاً: سُنَّة الابتلاء التي تعرَّض لها أيُّوب عليه السلام:

إنَّ الابتلاء في اللغة هو الاختبار والامتحان، والابتلاء سُنَّة من سُنَن الله تبارك وتعالى لا تتوقَّف ولا تتخلَّف، وهي عامَّةٌ لجميع النَّاس، وهي تكليفُ النَّاس بالإيمان، المؤمنين والكافرين[٣].

فمن أنواع الابتلاء المترتِّب على الصِّراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشَّيطان قد يكون بإلحاقِ صنوفِ التعذيب والأذى بالدُّعاة، وقادتهم الرُّسل، وقد يكونُ بالقتال والقتل والشهادة.

ومن الابتلاء ما لا يكون له علاقةٌ بالصِّراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشَّيطان، وإنَّما هذا النوعُ من الابتلاء يكون بابتلاء الله أهل الإيمان بمرضٍ عُضَال من الأمراض يفقدهم الحركة والقدرة على النهوض.

---

(١) تفسير المراغي، (١٧/ ٦١).

(٢) تفسير القرآن بالقرآن، د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م، ص٥٤٢.

(٣) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، د. محمد أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥م، ص٤٨٤.

وقد يكون بِفَقْد عضوٍ من أعضائه كذهاب عين المبتلى أو أنفه، أو فَقْدِ حاسَّة من حواسِّه كالسمع والبصر، أو بفقد عزيز له، كابنه أو أبيه أو أخته أو أخيه، أو ذهاب أمواله وزوالها عن ملكه، وتحويل حاله من غِنى إلى فقر، ومن يُسْر إلى عُسْر[١]. وقد فَصَّل العلماء في أنواع الابتلاء، وذكروا منها:

ـ ابتلاء النَّاس عموماً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

ـ الابتلاء بزينة الحياة الدنيا ومتاعها.

ـ الابتلاء بالخير والشر[٢].

إنَّ الأنبياءَ أشدُّ النَّاس بلاء، قال رسولُ الله ﷺ: «أشدُّ النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الصَّالحون، ثمَّ الأمثل فالأمثل، فيُبتلى المرءُ على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة شُدِّد عليه في البلاء»[٣].

فالابتلاءات هذه لا تدلُّ على أنَّ الله لا يحبُّ هذا الإنسان أو ذاك، بل لعلَّ العكس هو الصحيح[٤]، وذلك أنَّه جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «من يردِ الله به خيراً يُصِبْ منه»[٥]. أي: يَبْتَلِيه عز وجل، كالذهب يُعرض

---

(١) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، أبو فارس، ص٤٨٤.

(٢) سنة الله في الفتنة والابتلاء وأثرها العقدي، الزيدي الطويل، دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م، ص٣٠ إلى ٤١.

(٣) سُنَن الترمذي، أبو جعفر الترمذي، دار التأصيل، ٢٠١٤م، رقم ٢٣٩٨، سُنَن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، دار التأصيل، ٢٠٠٦م، رقم ٤٠٢٣.

(٤) فبهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام، عثمان الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ص٢٧٨.

(٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرَّابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، رقم ٤٦٤٥.

على النَّار، فتنقي النَّار هذا الذهب من الشَّوائب، حتَّى يصير بعد ذلك خالصاً من تلك الشَّوائب التي كانت عالقةً فيه. وظلَّت امرأةُ أيُّوب صابرة محتسبة معه، وقامت بحقِّ زوجها خير قيام مع طول المدَّة وشدَّة البلاء[١].

إنَّ ظروفَ الحياة هي ظروف ابتلاء وامتحان للجميع، فالرُّسلُ عليهم السلام مُبتلون، وأقوامهم مُبتلون، والمؤمنون مُبتلون، والكافرون مُبتلون، وأنواعُ الابتلاء مختلفةٌ منها ابتلاء التكاليف، ومنها ابتلاء بالنعم، ومنها ابتلاء بالنقم والمصائب، ومنها ابتلاء النَّاس بعضهم ببعض[٢].

ومرَّ أيُّوب عليه السلام بسُنَّة الابتلاء بنجاح، وكان ابتلاؤه عليه السلام في أولاده وفي أمواله، فهلكت جميعها من إبل، وبقر، وغنم، وزروع، وثمار، وغيرها...

وابتلاه الله في صحَّته بالأمراض والأسقام، فأعجزتْه عن خدمة نفسه بنفسه، وألزمته الفراشَ، وأفقدته القدرةَ على الحركة[٣].

ويُؤخذ من ابتلاء الله لأيُّوب وصَبْره على البلاء الذي أصابه درسٌ في غاية الأهميَّة والخطورة، هو الصَّبْر على البلاء، والرضا بأمر الله، وعدم السخط به.

والرُّسلُ جميعاً ـ ومنهم أيُّوب عليه السلام ـ أُمروا بالصَّبر هم وأتباعهم في جميع أنواع الابتلاء فصبروا، والدعاةُ والعلماء هم ورثةُ الأنبياء، وهم مأمورون بالاقتداء بالرُّسل في الصبر[٤].

---

(١) فبهداهم اقتده، ص٢٧٨.

(٢) السنن الاجتماعية في القرآن، د. محمد أمحزون، دار طيبة، ٢٠١١م، (٢/٦).

(٣) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص٤٨٥.

(٤) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، المصدر السَّابق، ص٤٨٦.

إنَّ سُنَّة الله في الابتلاء ماضية، مرَّ بها أيُّوب عليه السلام، ونوح وإبراهيم، وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ونبيّنا محمد ﷺ.

ومن المهمِّ أن نعرفَ جيِّداً بأنَّ مؤاخذةَ الله لعبده تزداد شدَّة ودقَّة كلَّما ازدادت منزلته من ربِّه قُرباً، ولهذا يكون ابتلاؤه أشدَّ من غيره. وقد كان أيُّوب عليه السلام غايةً في الصَّبْر وبه يُضرب المثل في ذلك، فإذا ابتلاه الله بما ابتلاه، فذلك لعلوّ منزلته وقربه من الله، وصلابته في دِينِه، فابتلاه الله على قَدْر دينه ليزيدَ من حسناته وقُرْبه منه(١).

وهكذا عاش أيُّوب عليه السلام كما عاش سائرُ الأنبياء، فوجد في تلك الظِّلالِ الوارفةِ من الصَّبْر سعادة روحيَّة، وحوَّلت ألمه أملاً، وبدَّلت خوفَه أمناً، وحوَّلت المتاعبَ والآلام إلى راحةٍ وطمأنينةٍ(٢).

وقصَّة أيُّوب عليه السلام، هي قصَّةُ الإيمان الكامل والصبر الجميل، وهي تُرينا أنَّ الصَّبْر على الشَّدائد يصفِّي النفوس، ويرفع الدرجات، ويُعْلي قَدْرَ الإنسان بين النَّاس، فيصبح أمامهم قائداً وقُدْوَة، ثمَّ يكون له من الله خير العِوَض في الدنيا، وله بعد ذلك في الآخرة الجزاء الأوفى.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ـ ١٥٧].

---

(١) المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م، ص٣٠٤.

(٢) تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد الطيب نجار، مكتبة المعارف، ١٩٨٣م، ص٢٦٣.

ومن ابتلاء أيُّوب عليه الصلاة والسلام يمكننا أن نستخلصَ ونلخِّص الأمور الآتية:

ـ الابتلاء سُنَّة ربَّانيَّة لا يُستثنى منها أحدٌ من البشر، ولو كان رسولاً نبيًّا كأيُّوب عليه السلام.

ـ الابتلاء يكون بالسَّرَّاء ويكون بالضَّرَّاء.

ـ المبتلى بالسَّراء يشكر المنعم، والمبتلى بالضرَّاء يصبر عليها.

ـ تعرَّض أيُّوب عليه السلام لنوعي الابتلاء في أوَّل حياته بالسَّراء وبعدها بالضَّراء.

ـ المبتلى إن رضي فله الرضى، وإن سخط فله السخط.

ـ الابتلاء يدلُّ على حبِّ الله للمبتلى.

ـ الله وحده هو مُفَرِّج الكروب.

ـ الابتلاء يتَّعظ منه المؤمنون العابدون، أصحاب العقول الكبيرة، والأفئدة المفعمة بالإيمان والتقوى.

ـ الصَّبْر طريقُ الفَرَج والنصر.

ـ ييسِّر الله للمبتلى من وسائل الفَرَج والنصر ما لا يخطر ببالِ المبتلين.

ـ يكافئ الله تبارك وتعالى الصَّابرين في الدنيا، ويُثيبهم على صَبْرِهم في الآخرة.

ـ تُخفَّف العقوبةُ على ذوي الأعذار؛ الذين لا يحتملون العقوبةَ المقرَّرة، فإنَّها تهلكهم، والعقوبة في الغالب زاجرة، وليست قاتلةً مهلكة.

ـ الصَّبْر صفة ومنقبةٌ ممدوحةٌ عند الله تبارك وتعالى، والجزع والفزع،

والاضطراب، وعدم الصَّبْر على الطَّاعة، واقتراف المعاصي، والشهوات المحرَّمة صفة مذمومة وقبيحة، ينبغي أن يُقلِع عنها كلُّ مؤمن(١).

رابعاً: أهميَّة الدُّعاء في رفع البلاء والشَّدائد والمحن:

إنَّ قصَّة أيُّوب عليه السلام تُعلِّمنا كيفيَّة التعامل مع الله في دعائه وندائه والاستعانة به؛ لرفع الكروب والأضرار والابتلاءات...

فالدُّعاء: هو الطلبُ من الله تعالى لتحقيق أمرٍ مرغوبٍ فيه، ومنه: الطلب والرجاء من الله تعالى لرفع البلاء، وتحقيق الشِّفاء. وقيل: هو إظهارُ غايةِ التذلُّل والافتقار إلى الله، والاستكانة له. وهذا يتناول دعاءَ العبادة، ودعاء المسألة المتضمِّن لدعاء الثناء، والعبادة.

والدُّعاء: هو التوجُّه إلى الله تعالى بالطلب مع التذلّل، ومن فوائده: سرعة الفَرَج، وتفريج الكرب، وجَلْب المصالح، ودفع المفاسد، ومداومة الشعور بالضَّعف والحاجة، وهو من أجلِّ أنواع العبادة(٢).

فقصَّة أيُّوب عليه السلام تُعلِّمنا وتُرشدنا إلى أهميَّة الدُّعاء، فقد ابتُلي أيُّوب عليه السلام ابتلاءً شديداً فصبر، ثمَّ اتَّجه إلى الله تعالى بالدُّعاء تضرُّعاً وتذلُّلاً، وتعبُّداً ورجاءً، حتَّى حقّق الله رجاءه وطلبه، واستجاب دعاءه، وأعطاه أكثر مما طلب، وعُوّض عمَّا سبق(٣).

ويُعلِّمنا أيُّوب عليه السلام ألا تَعَارُضَ بين الصَّبْر والدُّعاء، فالدُّعاء

---

(١) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص٥٠٠.

(٢) شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص٥٣٩.

(٣) شرعة الله للأنبياء، ص٥٣٩، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد ملوح، دار الوسيلة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، (٥/ ١٩٠١ ـ ١٩٤٤)، الموسوعة الفقهية الميسرة، (١/ ٨٥٥).

لا ينافي الصبر، بل الذي ينافي الصَّبْر هو الشكوى إلى الخَلْق، أمَّا الذي يشتكي إلى الله فهو الصَّابر المحتسب، وأيُّوب لم يشتكِ إلى الخَلْق، بل لجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فأيُّوب كان داعياً، ولم يكنْ شاكياً، بدليل أنَّه لمَّا قال هذا الكلام قال الله له: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾، والاستجابة لا تكون إلا للدعاء، فهو دعا، ولم يشتكِ صلوات الله وسلامة عليه، بل إنَّه لمَّا جَمَعَ في دعائه بين حقيقة التوحيد وإظهار الحاجة والفاقة إلى الله جلَّ وعلا، بل والتوسُّل إليه بأسمائه وصفاته استجاب الله عز وجل له[١].

وعلَّق ابنُ القيّم رحمه الله: على دعاء أيُّوب عليه السلام فقال: جَمَعَ في هذا الدُّعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر، والفاقة إلى ربِّه ووجود طعم المحبَّة في التملُّق له، والإقرار له بصفةِ الرحمة، وأنَّه أرحمُ الرَّاحمين، والتوسُّل إليه بصفاته سبحانه وشدَّة حاجته وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كُشِفَ عنه بلواه[٢].

إنَّ أيُّوب عليه السلام كان محبَّاً لربِّه، ومحتاجاً إليه، ومتذلّلاً له، والقيمةُ التربويَّة من دعاء أيُّوب عليه السلام هي أنَّ العابدَ يجبُ أن يكونَ مطيعاً لله عز وجل، وممتثلاً لأمره من أجل تحقيق العبوديَّة لله عز وجل، وذلك من خلال محبَّته لله، وتحقيقه للتقوى والإيمان، فينتج عن ذلك انشراحٌ للصدر، وتفريجٌ للهمِّ، وسعة في الحياة، وراحة في البال[٣].

١ ـ شُروط الدُّعاء:

ينبغي للمسلم أن يتعلَّم شروطَ الدُّعاء وآدابه، وأن يتفقَّه في أحكامه

---

(١) فبهداهم اقتده، ص٢٨٢.

(٢) الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار علم الفوائد، ٢٠١٣م، ص٢٥٩.

(٣) المضامين التربوية في قصة نبي الله أيوب عليه السلام وتطبيقاتها المعاصرة، ياسر إبراهيم رشاد، جامعة اليرموك، ٢٠٢٠م، ص٥٥.

مستخرجاً تلك الشروط والآداب، والفقه المتعلِّق بالدُّعاء من أدعية الأنبياء والمرسلين التي جاءتْ في القرآن الكريم، ومن هَدْي سيِّد الأوَّلين والآخرين عليه الصلاة والسلام، فمن شُروط الدُّعاء:

أ ـ أن يكونَ عالماً بأنَّه لا يقدرُ على حاجته إلا الله سبحانه وتعالى، وأنَّ مَنْ عداه في قبضته، ومسخَّر بتسخيره عز وجل، فلا يسألُ إلا الله، ولا يستعينُ إلا بالله عز وجل[١].

وهذا الشرطُ جليٌّ في قصَّة أيُّوب عليه السلام.

ب ـ ألا يكونَ المسؤولُ بالدُّعاء ممتنعاً عقلاً ولا عادة، كإحياء الموتى، ورؤية الله في الدُّنيا، ولا يدعو بما هو مستحيلٌ كالخلود في الدنيا، وقد علم أنَّ الله كَتَبَ على عباده الفناء، واستأثر سبحانه بالبقاء، فهذا كلُّه من الاعتداء المنهيِّ عنه في الدُّعاء.

ج ـ ألا يدعو بإثم.

د ـ ألا يكون له فيما سأل غرضٌ فاسد، كسؤال المال والجاه والولد والعافية للتفاخر، والاستكثار، والاستعانة بها على قضاء شهواته.

هـ ـ ألا يشغله الدُّعاء عن فريضةٍ حاضرة يفوِّتها، فيكون عاصياً.

و ـ ألا يستعجلَ، ولا يضجر من تأخُّر الإجابة.

ز ـ أن يدعو بلسان الذلَّة والافتقار.

ح ـ أن يدعو الله بأسمائه الحسنى[٢]، كما فَعَلَ أيُّوب عليه السلام ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣].

---

(١) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، محمد بن أحمد المقدم، دار الخلفاء الرَّاشدين، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.

(٢) الأوراد المأثورة، المصدر السَّابق، ص١٥٥.

٢ ـ آداب الدُّعاء، ومنها:

ـ تقديم التوبة، وَ رَدّ المظالم.

ـ الإخلاص لله تعالى، والتأدُّب، والخشوع، والمَسْكَنة، والخضوع، والبكاء.

ـ تجنُّب الحرام مأكلاً ومشرباً، والتعفُّف عن الشُّبهات.

ـ أن يدعو على طهارةٍ كاملة، ويستاك، ويتطيَّب.

ـ أن يستقبلَ القبلة.

ـ أن يقدِّم عملاً صالحاً قبل دعائه كتلاوة القرآن، أو صدقة، أو صيام، أو صلاة، أو إحسان إلى يتيم، أو تفريج كربِ معسِر، أو قضاء حاجة أخيه المسلم.

ـ أن يراعي خَفْضَ الصوت، ولا يجهر جَهْراً شديداً.

ـ أن يستفتحَ بحمد الله تعالى، ويُثني عليه بما هو أهله، ثمَّ يثني بالصلاة على النَّبي ﷺ، ويجتهد في إحسان ذلك والإكثار منه في أوَّل الدُّعاء، وأوسطه، وآخره، فإنَّها الجناحُ الذي يصعد به خالصُ الدُّعاء إلى عنانِ السماء.

ـ أن يُظهرَ الافتقارَ والذلَّة والانكسار لله سبحانه وتعالى، ويشكو إليه ضعفه وضيقه وبلاءه.

ـ أن يختمَ الدُّعاء باسمٍ من أسماء الله الحسنى، ممَّا يناسبُ المطلوبَ ويقتضيه.

ـ أن يستعملَ في كلِّ مقام الدُّعاء المأثور فيه، فهو أفضلُ من غيره؛ لتنصيص الشَّارع عليه. والأولى أن يقتصرَ على المأثور، فما كلُّ أحد يُحسن الدُّعاء، فيُخاف عليه الاعتداء.

ـ ألا يتحجَّر رحمةَ الله الواسعة في دعائه؛ لحديث الأعرابي الذي قال: اللهُمَّ ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال ﷺ: «لقد حجَّرتَ واسعاً».

ـ أن يتحرَّى جوامعَ الأدعية، ويَدَعَ ما سوى ذلك.

ـ تشريك الإخوان المؤمنين في الدُّعاء، ولاسيما إذا كان الداعي إماماً أو جماعة، ودلَّ على التعميم في الدُّعاء قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩].

ـ إذا عظمتْ حاجتُه، لم يسألها الله تعالى سؤالَ مُستعظم لها في ذات الله عز وجل، بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالاً واحداً، وينبغي أن يرى مِنَّة الله عليه في إجابته إلى صغير الحوائج وكبيرها، قال الله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء: ٣٢]، وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ليسألْ أحدُكم ربَّه حاجاته كلّها؛ حتَّى يسأل شِسْعَ نعِله إذا انقطع»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ فإنَّه أوسط الجنَّة وأعلى الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تُفجَّر أنهار الجنَّة»[(٢)].

ـ أن يدعوَ بعزم وجِدٍّ ورغبة واجتهاد، وليعظّم الرغبة، ويجزم بالطلب دون تعليقه بالمشيئة، ويُصدِّق رجاءه، ويُوقن بالإجابة، ولا يمنعه حُسْنُ الظنِّ بالله في إجابة دعائه ما يعلمه من نفسه من التقصير، فإنَّه يدعو كريماً.

ـ أن يلزمَ الدُّعاء في كلِّ حال.

---

(١) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، ص١٥٨.

(٢) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، المصدر السَّابق، ص١٥٨.

الدُّعاءُ استنجاح، فينبغي أن يتحرَّى أوقات النجاح، ويتحرَّى الأوقات والأحوال والمواطن المرجوّ بها الإجابة.

٣ ـ أوقات الإجابة، ومنها:

- في السُّجود.
- بعد الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ في التشهُّد الأخير.
- دُبر الصَّلوات المكتوبات.
- عند شُرب ماء زمزم.
- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذِّكْر.
- عند التأمين في الصلاة.
- عند قراءة الفاتحة في الصلاة، واستحضار ما فيها من المعاني.
- عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند إقامة الصلاة.
- ليلة القَدْر.
- ساعة من كلِّ ليلة.
- جوف الليل الآخر، ونصفه الثاني، وثلثه الأوَّل، وثُلُثه الأخير، ووقت السَّحَر.
- يوم الأربعاء بين صلاتي الظهر والعصر.
- يوم عَرَفة من السنة، ورمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع، وفي آخر ساعة بعد العصر إذا جلس ينتظرُ صلاةَ المغرب.
- عند نُزول المطر.
- عند التحام الحربِ مع الكفَّار[١].

(١) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، المصدر السَّابق، ص١٦١.

- بعد أن تزولَ الشمس قبل الظهر.

هذه أهمُّ الأوقات في إجابة الدُّعاء.

٤ ـ من يُستجاب دعاؤهم، ومنهم:

- دعاء الرجلِ المسلم المستجمع لشروط الدُّعاء.
- المضطرّ، والمظلوم مطلقاً، ولو كان كافراً أو فاجراً.
- الإمام العادل.
- الوالد لولده.
- الولد البارّ بوالديه.
- الصَّائم.
- المسافر.
- الذَّاكر الله كثيراً.
- دعوة المسلم لأخيه في ظَهْر الغيب[١].
- الحاجّ والمعتمر؛ لقوله ﷺ: «الحُجَّاج والعُمَّار وفدُ الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»[٢].
- مَن استيقظ مِن الليل فقال حين يستيقظ: «لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له المُلْك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم، ثمَّ قال: اللهُمَّ اغفر لي» أو دعا»[٣].

---

(١) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، المصدر السَّابق، ص١٦٣.
(٢) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، ص١٦٣.
(٣) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، المصدر السَّابق، ص١٦٣.

• من دعا بدعوة ذي النون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧][١].

ومن الكتب النَّافعة في فقه الدُّعاء (الأوراد المأثورة من الكتاب والسُّنَّة) لمحمَّد أحمد بن إسماعيل المقدَّم.

إنَّ الدُّعاء من أنواع العبادات، وعنوان من عناوين العبوديَّة لله عز وجل، كما أنَّ الدُّعاء والاستجابة كلّ ذلك فضلٌ من الله تعالى بأن يسمحَ لك بندائه، ورفع حاجتك إليه في كلِّ شأن وفي كلِّ حين، كما أنَّ الأنبياءَ أسوةٌ للعابدين في أمورهم كلّها، وفي الدُّعاء.

إنّ من الدروس المهمَّة:

• أنَّ أيُّوب عليه السلام نموذجُ الصبر، ونموذج الإجابة، إجابة الدُّعاء، ومضاعفة العطاء في الأبناء.

• عطاء الله كلُّه عظيم، والعظيم يهبُ على قدر كرمه وعظمته وجُوده.

• بعد الابتلاءات في النوازل، تتنزَّل مدهشات الحوافل، لتكون ذكريات للمنازل والقوافل، ولكلّ ظاعن وراحل.

• الذين انقطعوا عن الله وعبادته خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسرانُ المبين[٢].

• إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يَردُّ القدرَ إلا الدُّعاء»[٣].

---

(١) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، المصدر السَّابق، ص١٦٣.

(٢) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٨.

(٣) سُنَن الترمذي، رقم٢١٣٩.

- وقد تحقّق مضمون الدُّعاء بأبعاده المتنوِّعة في قصَّة أيُّوب من خلال:
- شدَّة التضرُّع، وعمق الاستغاثة، وأدب النداء.
- إظهار الانكسار، والتذلُّل، والخضوع، والافتقار، والتواضع لله عز وجل.
- توسُّل أيُّوب عليه السلام بأسماء الله الحسنى وصفاته، ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣].

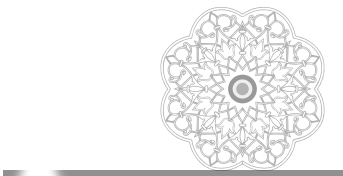

المبحث الثالث

ذكر أيُّوب عليه السلام في سورة (ص)

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٤].

(ص) سورةٌ مكيَّةٌ، وهي كباقي السور المكيَّة التي تعالج أصولَ العقيدة الإسلاميَّة، ابتدأت السورةُ الكريمة بالقسم بالقرآن المعجِز، المنزَّل على النَّبيِّ ﷺ، المشتمل على المواعظ البليغة، والأخبار العجيبة، على أنَّ القرآنَ حقٌّ، وأنَّ سيِّدنا محمَّداً ﷺ نبيٌّ مرسَل.

ثمَّ تحدَّثت عن الوحدانيَّة، وإنكار المشركين لوحدانية الله عز وجل، ومبالغتهم في العجب من دعوة الرسول ﷺ إلى توحيد الله: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥].

وانتقلت السورةُ لضرب الأمثال لكفَّار مكَّة بمن سبقهم من الطُّغاة المتجبِّرين الذين أسرفوا بالتكذيب والضلال، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال بسبب إفسادهم وإجرامهم، ثمَّ تناولت قصص بعضِ الرُّسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، تسلية للنبيِّ ﷺ عمَّا يلقاه من كفَّار مكَّة من الاستهزاء والتكذيب، وتخفيفاً لآلامه وأحزانه، فذكرت قصَّة نبيِّ الله داود وولده سليمان عليهما الصلاة والسلام؛ للذين جمعا بين النُّبوَّة والمُلك،

وما نال كلٌّ منهما من الفتنة والابتلاء، ثمَّ أعقبتها بذكر فتنة أيُّوب، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، وذا الكفل عليهم الصلاة والسلام، هكذا في عرض سريع لبيان سُنَّة الله تعالى في ابتلاء أنبيائه وأصفيائه.

وأشارت السورةُ الكريمةُ إلى دلائل القدرة والوحدانيَّة في هذا الكون المنظور، وما فيه من بدائع الصَّنعة، للتنبيه على أنَّ هذا الكونَ لم يُخلق عبثاً، وأنَّه لابُدَّ من دارٍ ثانية يُجازى فيها المحسنُ والمسيء، وخُتمت السورةُ الكريمةُ ببيان وظيفة الرسول ﷺ، ومهمَّته الأساسيَّة التي هي مهمَّة الرسُل الكرام، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام[١].

وإليك تفسيرُ الآيات الكريمة:

أوّلاً: قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ **[ص: ٤١]:**

١ ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾:

ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾؛ فالخطابُ هنا للنبيِّ ﷺ حتَّى يستأنس بذكر مَنْ سبقوه من إخوانه المرسلين؛ الذين حملوا الأمانة، وتحمَّلوا في سبيلها الآلام، وصاروا مضربَ المثل في الصَّبْر والتقوى[٢]، ويدخل في هذا الخطاب مع رسول الله ﷺ كلُّ مسلم مِنْ بعده، والهدف من ذِكْر وتذكُّر قصَّة أيُّوب عليه السلام هو الاقتداء به في موقفه من الابتلاء بالضَّرَّاء، والاستفادة من ذلك في مزيدٍ من الإقبال على الله[٣].

---

(١) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، ص٢٢٣.

(٢) وقفات في حياة الأنبياء، خالد عبد العليم، دار ابن كثير، ٢٠١٤م، ص١٤٦.

(٣) القصص القرآني، الخالدي، (٤/ ١٧).

- ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ أي: بالحمد والثناء[١]، في هذا الكتاب ذي الذِّكر[٢].

- ﴿عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾؛ بأحسن الذِّكْر، وأثنِ عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضُّرُّ فصبر على ضُرِّه، فلم يشتكِ لغير ربِّه، ولا لجأ إلا إليه[٣].

ولقد مدح الله تعالى أيوب عليه السلام بقوله: ﴿عَبۡدَنَا﴾، وهذا تنويهٌ بشأن العبوديَّة، وأنَّها تعني التضرُّع والخضوع والإنابة، والخشية والرضا بأقدار الله تعالى، فهذا هو العبد حقَّاً، تراه راضياً بحكم ربِّه، شاكراً لنعمه، صابراً على بلائه، يحمده في السَّرَّاء والضَّرَّاء، ولا يفتر عن ذكره في منشط أو مكره، ولا في صحَّة أو مرض[٤].

وإنَّ الوصفَ بالعبوديَّة في قوله تعالى: ﴿عَبۡدِنَا﴾ شرف؛ لأنَّه دلَّ على إعزاز الربوبيَّة لدرجة العبوديَّة؛ لأنَّ وصف العبوديَّة لله تعالى وصفٌ محبوب، وكلمة محمودة؛ لأنَّ غاية حريَّة العبد في تحقيق عبوديَّته لربِّه، ولأنَّه يأخذ الخيرات والبركات من سيِّده سبحانه وتعالى.

ولقد امتنَّ الله تعالى على سيِّدنا محمَّد ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج، وجعل حيثيَّة تلك العبوديَّة له سبحانه، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فلمَّا ضاقت به حفاوةُ الأرض بالطَّائف أراد أن يريه حفاوةَ السماء به، فالصفةُ التي رفعت نبيَّنا محمَّداً ﷺ إلى هذه المنزلة هي صفة إخلاصه في العبوديَّة لربِّه[٥].

كان أيُّوب عليه السلام صادقَ العبوديَّة لله، ولذلك أثنى الله عليه حيث

---

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١١٩٥٢).
(٢) تفسير السعدي، ص٩٥٨.
(٣) تفسير السعدي، المصدر السَّابق، ص٩٥٨.
(٤) وقفات في حياة الأنبياء، ص١٤٧.
(٥) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٩٥).

وصفه بالعبوديَّة، وجاء ذلك في بدايةِ الآيات: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١]، وفي آخر الآيات: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤].

وقد وصفه بالعبوديَّة في سياقِ الحديث عن الابتلاء، وهو ما يدلُّ على أنَّ من حِكمة ابتلاء الله لعباده بالبأساء والضَّرَّاء، هي تعميق عبوديَّتهم له، فالمؤمنُ المُبتلَى بالضُّرِّ يزدادُ عبوديَّة لله، وخضوعاً له، وعندما يصبر ويحتسب ويُقْبِل على الله داعياً، منيباً، متضرِّعاً، خاشعاً، وإنَّ الله يحبُّ العبدَ اللحوحَ في الدُّعاء[١].

٢ ـ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾:

بَدَل من (أيُّوب)؛ لأنَّ زمن ندائه ربَّه ممَّا تشتملُ عليه أحوال أيُّوب، وخصَّ هذا الحال بالذكر من بين أحواله لأنَّه مظهر توكُّله على الله، واستجابة الله دعاءه بكشف الضُّرَّ عنه[٢].

ـ ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ داعياً، وإليه لا إلى غيره شاكياً[٣].

والدُّعاء هو ملجأُ المضطرِّين، وهو مظهرُ العبوديَّة التي في القلب لله ربِّ العالمين، وكان النداء لربِّه مبلغ جهد أيُّوب عليه السلام، فرفع كفَّ الضراعة، وكان على يقينٍ من الإجابة، ولذلك ما أتمَّ دعاءه حتَّى استجاب الله له، وكشف عنه الضُّرَّ، وعافاه في جسده، وَرَدَّ إليه أهله وماله، ومَدَحه، وأثنى عليه، فذهب الألم وبقي الأجرُ والمثوبة[٤].

٣ ـ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾:

ـ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾؛ المسُّ: هو الالتقاء الهيِّن الخفيف، يعني هو دون

(١) القصص القرآني، الخالدي، (١٨/٤).
(٢) التحرير والتنوير، (٥١٧/٩).
(٣) تفسير السعدي، ص٩٥٩.
(٤) وقفات في حياة الأنبياء، ص١٥٠.

اللمس، قال العلماء: لأنَّه مرضَ مرضاً شديداً أثَّر في إهابه، فكان الشَّيطانُ يحومُ حوله بخواطر السوء، ويقول له: كيف يفعل الله بكَ هذا وأنت رسول؟ كيف يتركك هكذا دون أن يشفيك؟ وهكذا اجتمع على سيِّدنا أيُّوب ألمُ الجسد وعذابه، وهواجس الشَّيطان في خواطره النفسيَّة، لذلك قال: ﴿بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾.

قال قتادة رحمه الله: «النُّصب: الضُّرُّ الذي أصابه في جسده، والعذابُ: ذهابُ المال والأهل، حيث حمل النّصب على الضُّرِّ الذي أصابه في جسده، والذي سبَّب له التعب، والمشقَّة، والإعياء، والمرض، والأذى، والألم.

وأمَّا العذاب: فهو الابتلاءُ الذي صبَّه الله على ماله وأهله، حيث أهلك الله ماله»[(١)].

ونَسَبَ أيُّوب ما مسَّه من نُصب وعذاب إلى الشَّيطان، فهذا من أدبه مع الله عز وجل، وإلا فإنَّ الله هو الذي قدَّر أن يبتليه ويوقع به الضُّرَّ، ويصيبه النصب والعذاب؛ لأنَّ الله هو الذي يفعل ما يشاء، ويُوقِع بعباده ما يشاء، وكلُّ ما يصيبهم من ضُرٍّ أو نفع، وخير أو شرٍّ، فهو من الله في الحقيقة؛ لأنَّ الأمور كلَّها بيده، الخَلْق خلقه، والأمر أمره، والفعلُ فِعْلُه سبحانه[(٢)].

أ ـ المصائب بين كسب الإنسان وإرادة الله:

ما يصيب النَّاسَ من ضرٍّ أو مصيبة فبسبب أفعالهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

إنَّ أفعالهم سببٌ مادِّيٌّ ظاهري لما يصيبهم، أمَّا المسبِّب والمقدِّر

(١) القصص القرآني، (٤/ ١٩).

(٢) القصص القرآني، المصدر السَّابق، (٤/ ١٩).

والمريدُ فهو الله سبحانه، فما يصيب العباد منسوبٌ إليهم كسباً وسعياً، ومنسوب إلى الله خَلْقاً وإرادة، وقد جمع القرآنُ بين هاتين النِّسبتين: نسبة الضُّرِّ والسَّيِّئة إلى الله وإلى النَّاس، فقال تعالى: ﴿... وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ﴾ [النساء: ٧٨ ـ ٧٩].

ومع تأكيد هذه الحقيقة الإيمانيَّة عند المؤمنين، إلا أنَّهم لا ينسبون الضُّرَّ والشَّرَّ إلى الله أدباً مع الله[١].

ب ـ أدب الأنبياء مع الله:

إنَّ الأمر كلَّه بيد الله جلَّ وعلا، خَلَقَ الخير وخلق الشرَّ، بل رأس الشرِّ الشَّيطان، والذي خَلَقَهُ هو الله سبحانه وتعالى، وهو النَّافعُ والضَّارُّ سبحانه وتعالى، ولكن هذا الكلام من أيُّوب صلوات الله وسلامه عليه جاء من باب الأدب مع الله جلَّ وعلا، كما جاء في دعاء النَّبيِّ ﷺ: «والخير كلُّه في يديك، والشرُّ ليس إليك»[٢]، أي: لا يُنسب إليه سبحانه وتعالى، قال الله جلَّ وعلا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ولم يقل: وإذا أمرضني، مع أنَّ الذي أمرضه هو الله، والذي شَفاه هو الله، ولكنَّه أدباً مع الله جلَّ وعلا قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقال يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى

(١) القصص القرآني، (٤/ ٢٠).

(٢) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، رقم٧٧١، فبهداهم اقتده، ص٢٨٣.

﴿ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ [الكهف: ٦٣]، فصرَّح أنَّ الشَّيطان هو الذي أنساه الحوت[١].

ج ـ لا سلطان للشيطان على أيُّوب عليه السلام:

على هذا الأساس ينبغي أن نفهمَ نسبة أيُّوب عليه السلام إيقاع الضُّرِّ به إلى الشَّيطان ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، حيث فعل هذا أدباً مع الله، وإلَّا فإنَّ الضُّرَّ والنُّصب قد أصابه بأمر الله وقدره سبحانه، ابتلاءً واختباراً له عليه السلام[٢].

إنَّ إبليس عليه اللعنة لا يكلُّ ولا يملُّ في السعي لإضلال بني آدم، مستخدماً كلَّ ما أوتي من قوَّة التأثير المباشرة وغير المباشرة بالوسوسة والإغراء والإغواء، باحثاً عن نقطة ضعف الإنسان حتَّى يصلَ إلى هدفه، وعندما وجد أيُّوبَ عليه السلام صابراً راضياً بقضاء الله وقدره، غير شاكٍّ ولا متذمِّر، موقناً أنَّ الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه، يئس منه إبليس اللعين، فأخذ يوسوسُ لخلصائه وأتباعه القلَّة القلائل الذين بقوا على وفائهم وإخلاصهم له، ومنهم زوجةُ أيُّوب عليه السلام، فكانوا يحدِّثونه بما وسوس الشَّيطان لهم، فيؤذيه في نفسه أشدَّ ممَّا يؤذيه الضُّرُّ والبلاء، فلمَّا حدَّثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه الله ليضربنَّها عدداً عيَّنه، قيل: مئة، وأمام هذا البلاء النفسيِّ والجسديِّ لجأ أيُّوب عليه السلام إلى الله عز وجل ليكشفَ عنه الضُّرَّ والسوء[٣].

إنَّ الشَّيطانَ لم يكنْ له تأثير على أيُّوب عليه السلام بأن يُنزِل مرضاً أو

(١) القصص القرآني، (٤/ ٢٠).
(٢) القصص القرآني، المصدر السَّابق، (٤/ ٢٠).
(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، عروة حسن طربية، ص٨٦.

سقماً به، فهذا محالٌ، وإن هذا هو قَدَرُ الله وحده، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وإن هذه هي الحقيقة، فإنَّه لا سلطانَ للشيطان على أيُّوب عليه السلام؛ لأنه نبيٌّ كريم، وقد عصم الله أنبياءه من الشَّيطان، فلم يجعل له سلطاناً أو تأثيراً عليهم(١).

وقد ذكر الزمخشريُّ رحمه الله في تفسيره: «كان يوسوسُ إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهية والجزع والقنوط من رحمة الله»(٢).

ونحذِّر في هذا المقام من أكاذيب (سِفر أيُّوب) في العهد القديم، التي سجَّلها أحبار اليهود الكفَّار، مؤلِّفو أسفار العهد القديم، التي زعموا فيها أنَّ الشَّيطانَ طلب من الله أن يسلِّطه على أيُّوب، فسلَّطه عليه، فأهلك أهلَه، وأباد أموالَه، وقضى بالمرض على جسده، فشكا وَضْعَهُ إلى الله.

وقد ردَّ كثير من المفسِّرين هذه الأكاذيبَ في تفاسيرهم، وفسَّروا بها قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ولا يجوز أن يفسَّر كلامُ الله بهذه الإسرائيليَّات المكذوبة المُفْتَراة(٣).

د ـ تفسير الشيخ طاهر بن عاشور رحمه الله للآية الكريمة:

ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]؛ وظاهر إسناد المسِّ بالنصب والعذاب إلى الشَّيطان أنَّ الشَّيطان مسَّ أيُّوب بهما، أي: إصابة بهما حقيقة مع أنَّ النصب والعذاب هما الماسَّان أيُّوب، ففي سورة الأنبياء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فأسند المسَّ إلى الضُّر، والضُّرُّ

(١) القصص القرآني، (٤/ ٢٠).
(٢) تفسير الكشاف، (٣/ ١٣٠).
(٣) القصص القرآني، (٤/ ٢١).

هو: النُّصْب والعذاب، وتردَّدت أفهامُ المفسِّرين في معنى إسناد المسِّ بالنصب والعذاب إلى الشَّيطان، فإنَّ الشَّيطانَ لا تأثير له على بني آدم بغير الوسوسة، كما هو مقرّر في آيات القرآن، وليس النصب والعذاب من الوسوسة ولا من آثارها، وتأوَّلوا ذلك على أقوال تتجاوزُ العشرة، وفي أكثرها سَمَاحة، وكلّها مبنيٌّ على حَمْلهم الباء في قوله: ﴿بِنُصْبٍ﴾ على أنَّها باء التعدية لتعدية فعل ﴿مَسَّنِيَ﴾، أو باء الآلة مثل: ضربه بالعصا، أو يؤوّل النصب والعذاب إلى معنى المفعول الثاني من باب: أعطى.

وإن الوجهَ عندي: أن تُحملَ الباء على معنى السَّببيَّة بجعل النُّصب والعذاب مسبَّبين لمسِّ الشَّيطان إيَّاه، أي: مسَّني بوسواس، سببه نُصب وعذاب، فجعل الشَّيطان يوسوسُ إلى أيُّوب بتعظيم النُّصب والعذاب عنده، ويلقي إليه أنَّه لم يكنْ مستحقًّاً لذلك العذاب ليلقي في نفس أيُّوب سوء الظَّنِّ بالله، أو السخط من ذلك، أو تُحمَل الباء على المصاحبة، أي: مسَّني بوسوسة مصاحبة لضُرٍّ وعذاب، ففي قول أيُّوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، كناية لطيفة عن طلبِ لطف الله به، ورفع النُّصب والعذاب عنه؛ لأنَّهما صارا مدخلاً للشيطان إلى نفسه، فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وتنوين ﴿بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ للتعظيم أو للنوعيَّة، وعُدِل عن تعريفهما لأنَّهما معلومان لله[١].

هـ ـ وسائل الشَّيطان وأساليبه في التأثير على الإنسان:

وَرَدَت في كتاب الله ألفاظٌ عديدةٌ تحدَّثت عن أساليب الشَّيطان في إغواء الإنسان وإضلاله، وفي هذه الفقرة بيانُ أساليبه في إغواء الإنسان:

(١) التحرير والتنوير، (٩/ ٥١٩).

- **الوسوسة:**

في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: ١٢٠].

والوسوسة: الخطرةُ الرديئة، وأصلُها من الوسواس، وهو صوتُ الحُليِّ والهمس الخفيِّ[١].

- **الاستحواذ:**

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩].

استحوذ عليهم: استاقهم مستولياً عليهم[٢]. وقيل: استحوذ عليهم الشَّيطان، أي: غلب واستعلى، أي: بوسوسته في الدنيا[٣].

- **النَّزغ:**

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ـ النزغ: الدخول في أمرٍ لإفساده[٤].

وقال الطبريُّ: «وإمَّا يغضبنَّك من الشَّيطان غضبٌ يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم، فاستعنْ بالله، فاستجرْ بالله من نزغه، إنَّه سميعٌ عليم»[٥].

- **التسويل:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، عروة حسن طربية، ص٤٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م، ص٢٦٢.

(٣) تفسير القرطبي، (١٧/ ٣٠٥).

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص٧٩٨.

(٥) تفسير الطبري، (٩/ ١٥٦).

والتسويلُ: تزيينُ النفس لما تحرص عليه، وتصويرُ القبيح منه بصورة الحسن[١].

وعند أبي السُّعود: أي: سهَّل لهم ركوبَ العظائم، من السَّوَل وهو الاسترخاء، وقيل: من السول المخفَّف من السؤال لاستمرار القلب، فمعنى سوَّل له أمراً حينئذ: أوقعه في أمنيته.

- **الإملاء:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

أملى: أي: أمهل[٢].

- **الإلقاء:**

هو الإملاءُ والتعليمُ، ألقى إليه القول: أبلغه إيَّاه وعلَّمه[٣].

- **الإضلال:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

الضَّلال: الحيرةُ والعدولُ عن الحقِّ والطريق[٤].

- **الطَّائف:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرَّازي، دار الفكر، ١٩٧٩م، (١١٨/٣)، حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٢.
(٢) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٢، المفردات في غريب القرآن، ص٧٧٧.
(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٣.
(٤) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، المصدر السَّابق، ص٤٣.

مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وهو الذي يدورُ على الإنسان من الشَّيطان يريدُ اقتناصه(١).

- **التَّزيين:**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

التزيينُ: التحسينُ المدرَك بالحسِّ دون المدركِ بالعقل(٢).

- **الاستنزال:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

الزلَّة في الأصل: استرسالُ الرجل من غير قصد، أي: استجرَّهم الشَّيطانُ حتَّى زلُّوا(٣).

- **الاستفزاز:**

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

استفزَّ: أي: أزعج.

وعند الطبريِّ: استحقَّ واستجهل(٤).

- **الاستهواء:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١].

وفي تفسير المنار: استهوته الشياطين: ذهبتْ بهواه وعقله(٥).

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، المصدر السَّابق، ص٤٣، المفردات في غريب القرآن، ص٥٣١.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٧م، (٧/ ٣٨٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة، (٣/ ٤)، حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، ص٤٤.

(٤) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، ص٤٥، تفسير الطبري، (١٧/ ٤٩٠).

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار النوادر، ٢٠١٣م، (٧/ ٤٣٧).

- **المسُّ:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

المسُّ: يقال في كلِّ ما ينال الإنسانَ من أذى[١]، كقوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [ص: ٤١].

- **التخبُّط:**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

الخبط: الضربُ على غير استواء[٢].

ونجدُ هناك علاقةً بين المسِّ والخبط، المسُّ: الجنون، والخبط: أوَّلُ الجنون، ومعناه: أن يُحْشَرَ يوم القيامة كمثل المصروع[٣].

- **الإغواء:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

والغيُّ: الضَّلال والخيبة[٤].

والغيُّ: إذا ضلَّ في معتقد أو رأي[٥].

- **الإنساء:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٥/ ٢٧١).

(٢) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، ص٤٦.

(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، المصدر السَّابق، ص٤٦، تفسير القرآن ـ تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن، ٢٠٠٨م، (١/ ٢٧٩).

(٤) لسان العرب، محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، (١٥/ ١٤٠)، حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٧.

(٥) تفسير القرطبي، (٣/ ٢٧٩)، حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٧.

قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

النسيانُ: تركُ الإنسان ضَبْط ما استودع، إمَّا لضعف قلبه، وإمَّا عن غفلة، وإمَّا عن قصد حتَّى ينحذفَ عن القلب ذِكْرُه(١).

وعرَّفه الزمخشريُّ بالشغل، فقال في تفسيره للآية: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأنعام: ٦٨] وإن شغلك بوسوسته حتَّى تنسى(٢).

- **الاحتناك:**

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ أي: لأستأصلنَّهم بالإضلال، ولأغوينَّهم(٣).

وعند الشعراويّ رحمه الله: لأتعهَّدنَّهم بالإضلال والغواية(٤).

- **الاستمتاع:**

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

- ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: تمتَّع كلٌّ من الجنِّيِّ والإنسيِّ بصاحبه، وانتفع به؛ فالجنِّيُّ يستمتع بطاعة الإنسيِّ له، وعبادته، وتعظيمه، واستعاذته به، والإنسيُّ يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدمة الجنِّيِّ له بعض شهواته، فإنَّ الإنسيَّ يعبد الجنِّيَّ، فيخدمه الجنِّيُّ ويحصِّل له بعضَ الحوائج الدنيويَّة، أي: حصل منَّا من الذنوب ما حصل ولا يمكن ردُّ ذلك(٥).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص٨٠٣.

(٢) الكشاف، (٢/ ٣٤).

(٣) تفسير السعدي، ص٥٩٨.

(٤) تفسير الشعراوي، (١٤/ ٨٦١٤).

(٥) تفسير السعدي، ص٣٢٩.

● **التَّنزُّل:**

قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١].

التَّنزُّل: النزولُ في مهلة[١]، أي: تلقي وساوسها[٢]، وعند القرطبيِّ: أكثر ما تكون في الهواء، وأنَّها تمرُّ في الرِّيح[٣].

● **النجوى:**

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

والنَّجوى: تُقال للحديث الذي تفرَّد به اثنان فصاعداً، أو للقوم المتناجين[٤].

ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾؛ أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين بالمكر والخديعة، وطَلَبِ السّوء من الشَّيطان الذي كَيْده ضعيف[٥].

● **الهَمْز:**

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

أي: أعوذ بك من الشَّرِّ الذي يصيبني بسبب مباشرتهم، وهَمْزهم، ومسِّهم، ومن الشَّرِّ الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه استعاذةٌ من مادَّة الشَّرّ كلِّه وأصله، ويدخلُ فيه الاستعاذة من جميع نزغات الشياطين،

---

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرَّازي، مكتبة لبنان، ٢٠١٧م، ص٣٠٨.
(٢) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ٢٠١٩م، (١٠/ ٤٥٤).
(٣) تفسير القرطبي: (١٣/ ١٤٥).
(٤) تفسير الرَّاغب الأصفهاني، الرَّاغب الأصفهاني، دار الوطن، ٢٠٠٨م، (٤/ ١٤٨).
(٥) تفسير السعدي، ص١١٤٧.

ومن مسِّه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشَّرِّ وأجاب دعاءه؛ سلم من كلِّ شرٍّ، ووُفِّق لكلِّ خير[١]؟

- **العمل على التَّمنِّي:**

في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

أي: يعدُ الشَّيطان مَنْ يسعى في إضلالهم، ويُمنِّيهم بالمواعيد الكاذبة، يُلْقِيها في نفوسهم، تجعلهم يتمنَّون، أي: يقدِّرون غير الواقع واقعاً، إغراقاً في الخيال، ليستعينَ بذلك على تهوين انتشار الضَّلالات بينهم، يقال: منَّاه؛ إذا وعده المواعيدَ الباطلة، وأطمعه في وقوع ما يحبُّه ممَّا لا يقع[٢].

- **الصَّدُّ:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]. والصَّدُّ: الصَّرف والمنع. يقال: صدَّه عن الشيء، أي: منعه عنه[٣].

- **التخويف:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أي: إنَّ ترهيب من رهب من المشركين، وقال إنَّهم: ﴿جَمَعُوا لَكُمْ﴾

---

(١) تفسير السعدي، المصدر السَّابق، ص٧٣٦.

(٢) مفردات القرآن من كتاب التحرير والتنوير، فايز بن سياف السريح، دار القلم، (١/ ٥٦٢).

(٣) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصَّابوني، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٦م، (١/ ٢٥٨).

داعٍ من دعاة الشَّيطان، يخوِّف به أولياءه الذين عُدِم إيمانهم أو ضَعُف، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فلا تخافوا المشركين أولياء الشَّيطان، فإنَّ نواصيهم بيد الله، لا يتصرَّفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخاضعين له، المستجيبين لدعوته.

وفي هذه الآية وجوبُ الخوف من الله وحده، وأنَّه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمانِ العبد يكون خوفُه من الله، والخوف المحمود ما حَجَزَ العبدَ عن محارم الله[١].

- **الأزُّ:**

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

أي: تغريهم إغراء[٢]، وهذا من عقوبة الكافرين: أنَّهم لمَّا لم يعتصموا بالله ولم يتمسَّكوا بحبل الله، بل أشركوا به، ووالوا أعداءه من الشياطين، سلَّطهم عليهم وقيَّضهم، فجعلت الشياطين تؤزُّهم إلى المعاصي أزًّا، وتُزْعجهم إلى الكفر إزعاجاً، فيوسوسون لهم، ويوحُون إليهم، ويزيِّنون لهم الباطل، ويقبِّحون لهم الحقَّ، فيدخل حبُّ الباطل في قلوبهم ويتشرَّبها، فيسعى فيه سعي المحقِّ في حقِّه، فينصره بجهده، ويحارب عنه، ويجاهد أهل الحقِّ في سبيل الباطل، وهذا كلُّه جزاء له على تولِّيه من وليّه وتولِّيه لعدوِّه؛ جعل له عليه سُلْطاناً، وإلا فلو آمن بالله وتوكّل عليه لم يكنْ له عليه سلطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠][٣].

---

(١) تفسير السعدي، ص١٦٩.

(٢) تفسير الطبري، (١٨/ ٢٥٢).

(٣) تفسير السعدي، ص٦٥٢.

● **الخذلان:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]. والخذلانُ: يواليه حتَّى يؤدِّيه إلى الهلاك ثمَّ يتركه ولا ينفعه[١]، وعند الرَّاغب: ترك من يظنُّ به أن ينصرَ نصرته[٢].

● **الإيقاع:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

والإيقاع: الإسقاطُ[٣]، أي: يعملُ على إسقاط المؤمنين في مستنقع العداوة والبغضاء من خلال الخمرِ والميسرِ، ويصدُّهم عن ذِكْر الله وعن الصلاة.

ويقول عروة حسن طربية صاحب كتاب (حقيقة تأثير الشَّيطان على الأنبياء عليهم السلام) بعدما انتهى من فقرة: وسائل الشَّيطان وأساليبه في التأثير في الإنسان: بعد استعراض الألفاظ نجد أنَّ الرَّابطَ المتين الذي يجمع هذه الألفاظ من حيث الدلالة والصلة بين بعضها بعض هو أنَّ الشَّيطان الرجيم يستخدمُ ما أوتي من قوَّة الفتنة والقدرة على الإغواء، والتزيين، والإضلال لإيقاع النَّاس في حِباله وشِراكه لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، دلالة على قوَّة الصَّدِّ وإبعادهم عن المقصد من خَلْقهم،

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٩.

(٢) الكليات معجم من المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م، ص٤٣٧، المفردات في غريب القرآن، ص٢٧٧.

(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٩.

وهو توحيدُ الله عز وجل وعبادته، وسلطانه يكونُ على الذين يتولَّونه، ولا سلطانَ له على عباده المخلصين[١].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٤٢ ـ ٤٣]:

تفسير الآيات الكريمة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾:

ـ (الركض): الضَّربُ في الأرض بالرجل، فضرب أيُّوب ببقايا قوَّة رجله النَّاحلة الهزيلة على الأرض، فإذ بالمعجزة تتفجَّر تحتها ماء[٢].

وفي القرآن ضرباتٌ بسببها نبع الماء بأمر الله، من ذلك ضربة أيُّوب هذه ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾: فنبع الماء.

الثانية: لمَّا ضرب موسى الحجر، فتفجَّرت منه اثنتا عشرة عيناً.

الثالثة: وَرَدَت في السُّنَّة في قصَّة هاجر وإسماعيل عندما ضرب جبريلُ عليه السلام بعقبه أو بجناحه مكانَ زمزم، فنبع الماءُ[٣].

وفي الأمر الإلهيِّ لأيُّوب عليه السلام في قوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ تعليمُ الأمَّة احترام الأخذ بالأسباب، ومراعاة سُنَن الله في كونه[٤].

إنَّ من سُنَن الله في كونه وشَرْعه تحتِّم علينا الأخذ بالأسباب، كما فعل ذلك أقوى النَّاس إيماناً بقضائه وقدره، وهو رسولُ الله ﷺ، وقد قاوم

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٥/ ٣.

(٢) في ظلال الأنبياء، محمد حمد الصوياني، شركة العبيكان للتعليم، ط١، ٢٠٢٢م، ص٢١٤.

(٣) أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، ص٣٥٤.

(٤) حياة الأنبياء، ص١٥١.

الفقرَ بالعمل، وقاوم الجهلَ بالعلم، وقاوم المرضَ بالعلاج، وقاوم الكفرَ والمعاصي بالجهاد، وكان يستعيذُ بالله من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، وتعاطي أسباب الأكل والشُّرب، وادَّخر لأهله قُوتَ سنة، ولم ينتظر أن ينزلَ عليه الرزق من السماء[١]، وقال للذي سأله: أيعقل ناقته أم يتركها ويتوكّل؟ قال: «اعْقِلْها وتوكَّلْ»[٢].

وإنَّ القرآنَ الكريم حافلٌ بالآيات التي تُوجِبُ على المسلمين الأخذَ بالأسباب في شتَّى مناحي الحياة، والعمل على استقصاء تلك الأسباب للوصول إلى المراد، خاصَّة في تلك المواقف الصَّعبة التي تواجهُ الأمم والأفراد[٣].

- ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾؛ إرشادٌ ربَّانيٌّ في الأخذ بسُنَّة الأخذ بالأسباب.

- ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾؛ لم يقلْ: فركض فخرج الماء كذا وكذا، إنَّما انطوى هذا كلّه، واكتفى بالأمر ﴿ٱرۡكُضۡ﴾.

والمعنى: إنَّ في هذا الماء مغتسلاً لك وشراباً؛ لأنَّ المرضَ الذي أصاب سيِّدنا أيُّوب يبدو أنَّه كان مرضاً جلديَّاً يتركُ على بشرته بُثُوراً تشوِّه جلده. والآن نرى الأطباء الذين يعالجون الأمراضَ الجلديَّة يعالجونها بالمراهم الظَّاهريَّة التي تعالج ظاهر المرض، لكن لا تتغلغلُ إلى علاج سبب المرض الداخليِّ، فكان من رحمة الله بسيِّدنا أيُّوب عليه السلام أن جعل

(١) سنة الله في الأخذ بالأسباب، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٦م، ص١٠.

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، إسناد صحيح.

(٣) سنة الله في الأخذ بالأسباب، ص١٣.

شفاءه الظَّاهريَّ والباطنيَّ في ركضةٍ واحدة تُخْرِجُ الماء، فيغتسل منه مُغتسلاً بارداً يشفي ظاهر مرضه، وشراب يشفي أسبابَ المرض في داخل جسمه(١).

قاوم أيُّوب عليه السلام ضعفه، وحاول الجلوسَ حتَّى اعتدل، بعدما ركض برجله، ثمَّ مدَّ يديه المرتجفتين إلى الماء، وغَرَفَ غَرْفة، وغسل وجهه، فإذا بالمعجزة تسري في كلِّ قطرة تنسابُ على جلده الرقيق، والانتعاش يسري في كلِّ عضو يغسله، غَرَف بيده وشرب(٢) واغتسل، وذهب عنه كلّ داء بباطنه وظاهره بقدرة الله عز وجل وإرادته(٣).

قال ابنُ كثير رحمه الله: «اضربِ الأرض برجلك، فامتثلَ للأمر عليه السلام، فأنبع الله عَيْناً، وأمره أن يغتسلَ منها، فأذهب الله عنه ما كان يجدُه من الألم والأذى والسقم والمرض الذي كان في جسده، ثمَّ أمره فضرب الأرضَ في مكان آخر، فأنبع له عَيْناً أخرى، وأمره أن يشربَ منها، فأذهبت ما كان في باطنه من السوء، وتكاملتِ العافيةُ ظاهراً وباطناً»(٤).

كانت امرأةُ أيُّوب عليه السلام غائبةً عنه لقضاء حوائجه من طعام وشراب وأدوات للعناية به، فعندما رجعت، ورأته لم تعرفه لما فيه من قوَّة ونشاط وحيويَّة، وصحَّة وعافية، فقالت: أي بارك الله فيك، هل رأيتَ نبيَّ الله هذا المبتلَى، فوالله على ذلك ما رأيتُ أحداً أشبه به منك إذا كان صحيحاً؟ قال: «فإنِّي أنا هو»(٥)، فلا شكَّ في أنَّها أجهشتْ في البكاء من

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٩٥٤).
(٢) في ظلال الأنبياء، محمد الصوياني، ص٢١٤.
(٣) أنباء الأنبياء، ص٣٥٦.
(٤) تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، حققه يوسف علي بديوي، حسن سويدان، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، (٤/ ٧٤).
(٥) دراسات من القرآن الكريم، (٣/ ٢١٩).

شدَّة الفرح، وحمدت الله عز وجل، وشكرته على شفاء زوجها الحبيب العزيز.

- ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾؛ ويُؤخذ من الآية الكريمة: التداوي؛ لأنَّ الله تعالى أمره أن يشربَ ويغتسلَ من الماء الذي نبع تحت رجليه، وكان بإمكانه تعالى أن يشفيه دون أن يدعوه لاتِّخاذ هذه الوسيلة[١]، وكلُّ شيء له سبب[٢].

وقد بيَّن رسولُ الله ﷺ: «أنَّ لكلِّ داءٍ دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»[٣].

وقال ﷺ: «ما أنزل اللهُ داء إلا أنزل له شفاء»[٤].

إنَّ الحديثين الشريفين دالَّان على أنَّه ما من داء إلا وقد جعل الله له دواء، وإذا كان الأمرُ كذلك فإنَّه يشرع للإنسان أن يستعملَ الدواء الذي عرف تأثيره في الداء بالعادة والتجربة[٥].

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وأصحابه كأنَّما على رؤوسهم الطَّير، فسلَّمت ثمَّ قعدت، فجاء الأعرابُ من ههنا ومن ههنا فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «تداووا، فإنَّ الله تعالى لم يضعْ داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»[٦].

---

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف طبارة، ص٢١٣.

(٢) دعاء الأنبياء والرسل، محمد محمود أحمد، مركز الكتاب، ١٩٩٩م، ص١٧٨.

(٣) رواه مسلم، (٤/ ٢٠).

(٤) رواه البخاري، (٤/ ٨).

(٥) أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد مختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، ١٩٩٤م، ص٨٦.

(٦) سُنَن الترمذي، حديث حسن صحيح، (٣/ ٢٥٨).

إنَّ هؤلاء الصَّحابة رضي الله عنهم سألوا النبيَّ ﷺ بجوازه، ونَدَبهم إليه بقوله: «تداووا»، وهذا اللفظُ عام(١)، وبيَّن العلماء أنَّ علومَ الطبِّ من فروض الكفاية، حيث قال الإمام النوويّ رحمه الله: «وأمَّا العلومُ العقليَّة، فمنها ما هو فرضُ كفاية، كالطِّبِّ والحساب المحتاج إليه»(٢).

إنَّ علم الطِّبِّ من العلوم المهمَّة في الحياة البشريَّة، وبتطبيقه يتحقَّق كثيرٌ من المصالح العظيمة، والمنافع الجليلة، التي منها حِفْظ الصحَّة، ودفع ضَرَر الأسقام والأمراض عن بدن الإنسان، فيتقوَّى المسلم على طاعة ربِّه تعالى ومرضاته(٣).

٢ ـ **قوله تعالى:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣]:

ثمَّ بيَّن سبحانه أنَّه بفضله وكرمه لم يكتفِ بمنح أيُّوب الشفاء من مرضه، بل أضاف إلى ذلك أن وَهَبَ له الأهلَ والولد(٤).

أ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾:

قال الشيخُ متولِّي الشعراويّ رحمه الله: «يبدو أنَّ بعضَ أهله بعدوا عنه لمَّا أَصابه المرض، فلمَّا شفاه الله، وعاد إلى حال السلامة عادوا إليه، ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ يعني: وهبنا له مثل أهله، أي: من الذرِّيَّة والأتباع»(٥).

---

(١) أحكام الجراحة الطبية، محمد الشنقيطي، ص٨٧.

(٢) أحكام الجراحة الطبية، محمد الشنقيطي، المصدر السَّابق، ص٧٤.

(٣) الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ٢٠١٣م، ص٣٨٤.

(٤) القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٠٥م، ص٧١٠.

(٥) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٩٥٥).

وتقولُ بعض الروايات: إنَّ الله أحيا له أبناءه، ووهب له مثلهم، وليس في النَّصِّ ما يحتِّم أنَّه أحيا له مَنْ مات، وقد يكون معناه أنَّه بعودته إلى الصحَّة والعافية قد استردَّ أهله الذين كانوا بالنسبة إليه كالمفقودين، وأنَّه رزقه بغيرهم زيادةً في الإنعام والرعاية، ممَّا يصلح ذكرى لذوي العقول والإدراك[١].

ـ وقال الدكتور فضل حسن عبَّاس رحمه الله: «في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [ص: ٤٣] أي: هدينا أهله فآمنوا به، واستجابوا لدعوته، وهدينا لهم مثلهم من غير أهلِه، فالهبةُ هنا: هي الهدايةُ والإرشاد، لا هبة الخَلْق؛ لأنَّ ما يهتمُّ به الأنبياء هو أن يهدي الله بهم لا أن يُولد لهم»[٢].

ـ وقال عمرو الشَّاعر: «ولمَّا شُفي وَهَبَ الله له أهلَه وآخرين، وليس معنى ذلك أنَّ أهله كانوا قد ماتوا فأحياهم الله له، بل آمنوا به، يعني أنَّهم آمنوا به مع غيرهم، رحمةً من الله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، ولا يعني هذا أنَّ هارون أُحيي لموسى، أو ما شابه ذلك»[٣].

ـ وقال الدكتور محمَّد بكر إسماعيل: «وهبة الأهل ومثلهم معهم في العدد لا يكون إلا بأن يتزوَّج أيُّوب بنساء كثيرات فينجب من الأولاد ضعف العدد الذي مات، لا أنَّ الله أحياهم له بعد موتهم كما يقول القُصَّاص، فهذا أمر لم يُنصَّ عليه في الآية.

ولفظُ الهبة يدلُّ على أنَّ الموهوبَ شيء لم يكنْ بيد الموهوب له من

---

(١) في ظلال القرآن، (٥/ ٥٠٣٢).

(٢) قصص القرآن الكريم، ص٦٧٦.

(٣) قصص القرآن قراءة قرآنية، عمرو الشَّاعر، مكتبة النافذة، ص٢٧٩.

قبل، فهو لفظٌ يستعملُ في المَنْح المتجدِّد، كما قال جلَّ شأنه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]»[١].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «ردَّ الله على امرأته شبابَها حتَّى ولدت له ستَّةً وعشرين ولداً ذكراً»[٢].

ـ الذهب الذي أفاضه الله على أيُّوب وهو يغتسل:

روى البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينما أيُّوب يغتسلُ عرياناً خرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيُّوب يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه تبارك وتعالى: يا أيُّوب؛ ألم أكنْ أغنيتُك عمَّا ترى؟ قال: بلى، ولكن لا غِنى لي عن بركتك»[٣].

وروى أحمد والحاكم والطَّيالسيُّ هذا الحديثَ بلفظ آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لمَّا عافى الله أيُّوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذَهَب، فجعل يأخذُ منه بيده، ويجعل في ثوبه، فقال له: يا أيُّوب؛ أما تشبع[٤]؟! قال: يا ربِّ؛ ومن يشبع من رحمتك؟!»[٥].

يُخبرنا رسولُ الله ﷺ، بأنَّ الله عوَّض أيُّوب عليه السلام ماله الذي هلك أثناء ابتلائه، ويبدو أنَّ هذا كان فورَ اغتساله بالماء البارد، فلمَّا

---

(١) قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص٣١٥.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٧/ ٢٣٢).
(٣) البخاري، رقم٢٧٩، الأحاديث الصحيحة، رقم١٧٠.
(٤) القصص القرآني، (٤/ ٢٥).
(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م، (٢/ ٣٠٤).

اغتسل بالماء البارد ثمَّ شرب منه عافاه الله، و«بينما كان يغتسلُ عُرياناً، ليس عنده أحد، أمطر الله عليه جراداً من ذهب»[١].

ـ معنى الحديث وبعض دلالاته:

وكان هذا الجرادُ من الذهب كثيراً، سمَّاه الرسول ﷺ في رواية أخرى عند البخاريِّ: رِجْل جراد، فقال عليه الصلاة والسلام: «بينما أيُّوب يغتسل عُرياناً خرَّ عليه رِجْل جَراد من ذَهَب»[٢].

وشاء الله الحكيم أن يرزقَهُ الذهبَ على صورة جراد، وصَبَّ عليه الجراد من الذهب صبَّاً أثناء اغتساله، وأمطره عليه، فكأنَّ هذا الذهبَ كان مطراً غزيراً نازلاً عليه، وكان هذا معجزة من الله سبحانه.

فلمَّا رأى أيُّوب هذا الذهبَ مصبوباً عليه تناول ثوبَهُ الذي وضعه بجانبه أثناء الاغتسال، وصار يجمعُ الذهب بيديه، ويضعه في ثوبه[٣]. فعجب الله من صنيعه وناداه: يا أيُّوب؛ ألم أكن أغنيتُك عمَّا ترى؟ أي: أنَّ الله أغناه بما وهبه من رزق، فلِمَ يجمع الذهبَ بثوبه؟ فقال أيُّوب عليه السلام: بلى، لقد أغنيتني، ولكن لا غِنى لي عن بركتك؟ أي: أنَّ هذا الذهبَ بركةٌ منك يا ربِّ، وبركةُ الله لا غِنى عنها، فهي تُبارك مال مَنْ كانت عنده.

فأيُّوب ليس في حاجة إلى الذهب، وهو زاهدٌ في متاع الدنيا؛ لأنَّ الأنبياء هم أئمَّةُ الزاهدين، وجَمْعُه الذهب بثوبه طَلَبٌ للبركة، وليس سَداداً لحاجة.

وفي الرواية الثانية: أنَّ الله لمَّا عجب من فعله قال له: يا أيُّوب، أما تشبع؟ فقال أيُّوب عليه السلام: يا ربِّ ومن يشبع من رحمتك؟!

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، (٢/ ٥٨٢).

(٢) البخاري، رقم٧٤٩٣.

(٣) القصص القرآني، (٤/ ٢٦).

ولقد عدَّ هذا الذهب من مظاهر رحمة الله، ورحمة الله لا يشبعُ منها مؤمن، فجمعه للذهب بثوبه ليس بسبب نَهَمِه، بل للتقلُّب في رحمة الله[١].

وهذا التصرُّف من أيُّوب عليه السلام دليلٌ على أنَّه يجوزُ للمؤمن أن يجمعَ المال وأن يستكثرَ منه، وأن يحتفظَ به، بشرط أن يأتيه من مصدر حلال، وأن لا تستشرفه نفسه، ولا يملأ عليه تفكيره، وأن يُخْرِجَ حقَّ الله فيه.

ويُعَدُّ هذا المالُ بركةً من الله عز وجل، ولا يستغني أحدٌ عن بركة الله، وهو رحمة من الله، ولا يشبع أحدٌ من رحمة الله، ويُقتدى في ذلك بأيُّوب عليه السلام.

وهكذا كشفَ الله عن أيُّوب عليه السلام الضُّرَّ، وآتاه أهله ومثلهم معهم، وعوَّضه ماله الذي هلك، وآتاه خيراً منه، وأمطر عليه ذهباً على شَكْل جراد، وبذلك ولَّت عن أيُّوب عليه السلام مِحْنته، ورحمه الله بالرَّخاء والسَّرَّاء، وكما صبر في الضَّرَّاء فقد شكر في السَّرَّاء[٢].

ومن الفوائد المستنبطة من هذا الحديث:

ـ أنَّ مَنْ نُثِر عليه دراهم ونحوها في أملاك أو نحوه؛ كان أحقَّ بما تنزَّل عليه، إن شاء أخذها لنفسه، وإن شاء جعلها لغيره[٣].

ـ إباحة التعرِّي في الخَلْوة للغسل وغيره، بحيث يأمنُ أعينَ النَّاس[٤].

---

(١) القصص القرآني، (٤/ ٢٧).

(٢) القصص القرآني، المصدر السَّابق، (٤/ ٢٧).

(٣) أحاديث الصحيحين المنتقدة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنطي، مبرة الآل والأصحاب، ط١، ٢٠١٥م، ص٤٦٢.

(٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري، علي بن خلف القرطبي، مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م، (١/ ٣٩٣).

ـ جواز الحرصِ على الاستكثار من الحلال في حقِّ من وثق من نفسه بالشكر عليه[١].

ـ تسمية المال الذي يكونُ من هذه الجهة بركة.

ـ فضل الغنيِّ الشَّاكر[٢].

ـ لا يحكمُ على الإنسان بالشَّره وحُبِّ الدنيا بمجرَّد أخذه للمال وإقباله على الدُّنيا، بل ذلك يختلفُ باختلاف المقاصد، وإنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات[٣].

ـ جواز استكثار الغنيِّ من الغنى بنيَّة الإنفاق[٤].

ـ إذا رأى المؤمنُ فضلَ الله نازلاً عليه، فلا يقطع تناوله ما دام نازلاً، ويكون ناوياً بذلك ألا يشبع من رحمة الله، كما قال أيُّوب، فإنَّ الله سبحانه لا يحبُّ من عبده أن يردَّ عليه فضله[٥].

ب ـ ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾:

أي: رحمة به على صَبْره وثباته وإنابته، وتواضعه واستكانته[٦]، وكلُّ ذلك فعله سبحانه على سبيل التفضُّل والرحمة، لا على سبيل اللزوم والوجوب[٧].

وصوَّرَتِ الآيةُ الكريمة رحمةَ الله وفضله على عباده الذين يبتليهم، فيصبرون على بلائه، وترضى نفوسهم بقضائه[٨].

---

(١) أحاديث الصحيحين المنتقدة على الأنبياء، ص٤٦٣.
(٢) أحاديث الصحيحين المنتقدة على الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٦٣.
(٣) أحاديث الصحيحين المنتقدة على الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٦٤.
(٤) أحاديث الصحيحين المنتقدة على الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٦٤.
(٥) أحاديث الصحيحين المنتقدة على الأنبياء، المصدر السَّابق، ص٤٦٤.
(٦) تفسير ابن كثير، (٧/ ٧٥).
(٧) التفسير الموضوعي، طهماز، (٧/ ٢١٦).
(٨) في ظلال القرآن، (٥/ ٣٠٢٢).

ج - ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾:

الذكرى: هي الخاطرُ الذي يمرُّ بك ليصرفك إلى متعلَّق الذكرى؛ لأنَّك بصدد ما يبعدك عن سَبب الذكرى، ومضمون الذِّكرى هنا أنَّه لمَّا صبر جاءه الفَرَج من الله، فعاد جسمُه معافىً سليماً بعد أن برئ من المرض ومن أسبابه، ثمَّ عاد عليه أهله بزيادة مثلهم عليهم رفقاً بعواطفه، وهذا هو المرادُ بالرحمة في قوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [ص: ٤٣]، فهذه عطاءاتٌ متعدِّدة جاءت ثمرةً ونتيجة لصَبْره عليه السلام ورضائه بما قضى الله، وقدَّر عليه.

إذاً الذكرى التي نذكرها في هذه القصَّة أنَّ الإنسانَ حين ينزلُ به الكرب يلجأ إلى الله، ويفزع إليه في كَرْبه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، والله يحبُّ من عبده هذا اللجوءَ؛ لذلك يبتليه[(١)].

- ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ هم الذين يأخذون من كلِّ قشر لبابه، ويطلبون من ظاهر الحديث سِرَّه[(٢)]، واللَّبيب: هو العاقل[(٣)]. والمعنى: أنَّ الهبةَ كانت رحمةً له، وليتفكَّر أولو العقول بحالة أيُّوب ويعتبروا، فيعلموا أنَّ مَنْ صبر على الضُّرِّ فالله تعالى يُثيبه ثواباً عاجلاً وآجلاً، ويستجيبُ دعاءه إذا دعاه[(٤)].

يقول الزَّجَّاج: «إذا ابتُلي اللبيبُ ذكَر بلاء أيُّوب فصبر»[(٥)].

وهذه القصَّة وُصِفت في سورة الأنبياء بأنَّها ذِكْرى للعابدين، ووُصِفت في سورة (ص) بأنَّها ذِكْرى لأولي الألباب، لبيان أنَّ العابدين هم أولو

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٥٩٥٥).

(٢) التعريفات، ص٣٥.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، طبعة الكويت، ط٢، ٢٠٠٦م، (٤/ ١٤).

(٤) تفسير السعدي، ص٩٥٩.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، عالم الكتب، ٢٠٠٧م، (٤/ ٣٣٥).

الألباب؛ لأنَّهم عرفوا الله فعبدوه، واستمرُّوا في عبادته وطاعته، مخلصين له الدِّين[١].

والألباب: جمع لُبٍّ، واللُّبُّ: هو العقل، وجمعه: ألباب[٢]، وهو أيضاً خالصُ كلِّ شيء، والعقل الخالص من الشوائب، أو ما زكا من العقل، فكلُّ لبٍّ عقل ولا يعكس[٣].

واللُّبُّ: هو الدائرةُ الواقعة في عمق مركز التفكير، وهو مركزُ استقرار المعرفة العلميَّة، ومركز التذكُّر، ومركز الاعتبار والاتِّعاظ والذكرى، وعنه تصدرُ النتائجُ الفكريَّة إلى الفؤاد والقلب والصَّدر، لتحريك العواطف، وتنبيه الإرادة صاحبة السُّلطان في توجيه السلوك[٤].

وقد وَرَدَ ذِكْر الألباب في القرآن الكريم في ستَّة عشر موضعاً[٥].

ومن خلال التأمل الفاحص للنُّصوص القرآنيَّة التي وَرَدَ فيها ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣] يمكننا أن نتبيَّن صفاتهم ومزاياهم، التي منها:

ـ فهم أهلُ الحكمة في التصرُّف والسلوك، وذلك الخيرُ الكثير، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] أي: وما ينتفعُ بالموعظة والتذكرة إلا من له لبٌّ وعقل يعي به الخطابَ ومعنى الكلام.

---

(١) صحيح قصص القرآن، حامد أحمد البسيوني، ص٢١٧.

(٢) مختار الصحاح، محمد الرَّازي، مكتبة لبنان، ٢٠١٧م، ص٥٨٩.

(٣) المنجد في اللغة، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، ٢٠٠٩م، ص٧٠٩.

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، ٢٠١٠م، (١/ ٣٢١).

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة بريل، ٢٠٢٤م، ص٦٤٤.

ـ هم أهلُ رسوخ في العلم، وأهل فهم، وتعقُّل وتدبُّر في المعاني على وجهها[١]، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ـ هم الذين يعرفون ما أُنزل إلى الرسول ﷺ هو الحقّ، فقد نوَّر بصائرهم، وطمسَ أبصارَ وبصائر المعرضين، حيث قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

ـ ذكر الله سبحانه بعضاً من صفاتِ أولي الألباب في الآيات التي بعدها، ومنها: أنَّهم يوفُون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاقَ، وأنهم يصبرون، ويؤدُّون الفرائضَ وغيرها، وختم ذلك بالجائزة العظيمة، حيث قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

ـ هم الذين فهموا، وعقلوا، وتذكَّروا البلاغ الربَّانيَّ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ـ هم أصحابُ العقول السليمة الذين يتدبَّرون القرآن المجيد، ويعملُون بموجبه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ـ هم الذين يعرفون الفرقَ بين الجاهل والعالم، ذلك أنَّ هؤلاء لا يستوون أبداً في قياسات العقلاء، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ

---

(١) الحواس الإنسانية في القرآن الكريم، محمد طالب مدلول، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ص٢٢٧.

سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

ـ هم الذين يسخِّرون حواسَّهم لما فيه الخير، وأنَّ أدبهم رفيع، فهم يستمعون القولَ فيأخذون منه ما ينفعهم، ويتَّبعون أحسنه، وهذا من توفيقِ الله وهدايته لأولي الألباب، حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

ـ هم الذين يتزوَّدون بالتقوى وكلّ فضيلة ليوم الآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ـ أولو الألباب هم أصحابُ العقول الصَّحيحة، فهم يميِّزون بين الخبيث والطيِّب، والحرام والحلال، والحقِّ والباطل، ولا يغترُّون بميزان القوى المادِّيِّ، وشعارهم تقوى الله ومخافته، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ـ وأولو الألباب يطبِّقون حدودَ الله وشريعته، فيقتصُّون من القاتل ليرتدعَ كلُّ من تُسوِّل له نفسه الاعتداءَ على الآخرين، ذلك أنَّ مصيره القتل فيفكِّر في نفسه قبل الاعتداء على غيره، فتنهره عن ذلك الفعل، وفي ذلك كان القصاصُ حياةَ النفوس لتستمرَّ الحياةُ الهانئة الآمنة[1]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾ [يوسف: ١١١].

ـ وصفة أخرى لأولي الألباب هي أنَّهم يتفكَّرون في مخلوقات الله والكون والوجود كلّه ليصلُوا من خلال الاستنباط إلى خالِقها ومُوجِدها من العدم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

---

(١) الحواس الإنسانية في القرآن، المصدر السَّابق، ص٢٢٦.

فالتفكُّر عمليَّة ووظيفة عقليَّة تصلُ من خلالها إلى حقائق يقينيَّة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، أي: العقول التامَّة الزكيَّة التي تدركُ الأشياء بحقائقها على جليَّاتها.

- ومن صفاتِ أولي الألباب أنَّهم يتَّعظون، ويعتبرون من قصص الأمم السَّابقة وأحوالهم من أنبيائهم ورسله، ويُحيلونها إلى تجارب ودروس يستفيدون منها، فهم يتفكَّرون ويتدبَّرون ويتذكَّرون، وذلك هو العقلُ العاملُ الخالصُ من الشَّوائب، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

- إنَّ أولي الألباب هم أصحابُ العقول المؤمنة الصَّافية، والفِطَر المستقيمة التي تتَّقي الله وتطيعه فيما أمر، وتنتهي عمَّا نهى عنه وزجر، ولا تتَّبع الهوى، وتحكِّم القرآنَ في حياتها الذي سمَّاه الله تعالى ذِكْراً، حيث قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]. وهذه أهمُّ صفاتهم ومزاياهم التي ذُكرت في القرآن الكريم.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]:

تفسير الآية الكريمة:

١ - ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ﴾:

ذُكر أنَّ أيُّوب حَلَفَ ليضربنَّ امرأته مئة سوط لأنَّها باعتْ ضفائرها أو تأخَّرت عليه يوماً، فحلف ليضربنَّها[(١)]. وقيل: أن الشَّيطانَ جاءها، فقال لها: إن شفيتُ لك أيُّوب هل تقولين إنِّي شفيته؟ فقالت: أسأل أيُّوب،

(١) القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، أسامة عبد العظيم، دار الفتح، ٢٠٠٩م، ص١٣٥، في صحبة الرسل الكرام، السيد عبد المقصود، دار البشير، ٢٠٠٠م، ص١٣٧.

فسألته، فحلف ليضربنّها. يعني بذلك: كيف تقبلين مثلَ هذا الكلام، والشافي هو الله جلّ وعلا؟! وأيَّاً كان فالله أعلم بالسَّبب الذي من أجله حَلَف أيُّوب، وهذه كلُّها رواياتٌ من الإسرائيليَّات[١]، ولكن الآية الكريمة:

أ ـ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾:

تُبيِّن أنَّ الله أمر أيُّوب عليه السلام أن يأخذَ هذا الغصنَ الذي عليه مجموعة من الفروع والأوراق، وأن يضربَ به الشخص الذي حلف أن يضربه، وذلك لئلَّا يحنثَ في يمينه.

وهذا يدلُّ على أن أيُّوب عليه السلام كان قد حَلَفَ أثناء مرضه وابتلائه أن يضربَ أحد الأشخاص بشيء لسبب ما، فلمَّا عافاه الله دعاه إلى أن يبرَّ بيمينه، وأن يضربَ الشخص المحلوف عليه بذلك الضِّغْث من الشَّجر.

ولم تُبيِّن الآيةُ الشخصَ الذي حلف عليه، هل هو امرأته أم غيرها، كما لم تُبيِّن درجةَ قرابةِ هذا الشخص له، ولم تذكر السَّبب الذي دعا أيُّوب إلى أن يحلفَ أن يضربه، ولا ماذا كان نصُّ يمينه، ولمَّا حلَّله الله من يمينه لم تبيِّن الآيةُ كيف ضرب بذلك الضِّغْث.

وقد ذكر المفسِّرون أقوالاً في ذلك، وحاولوا أن يقدِّموا فيها إجاباتٍ على الأسئلة السَّابقة[٢]. ومِنْ أعدل هذه الأقوال: أنَّ أيُّوب عليه السلام كان قد غضب على زوجته، ووَجَد في أمر فَعَلَتْه، وحلف إنْ شفاه الله تعالى ليضربنَّها مئة جلدة، فلمَّا شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامَّة والرحمة والشفقة والإحسان أن تُقابَلَ بالضرب، فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ﴿ضِغْثًا﴾[٣].

---

(١) فبهداهم اقتده، ص٢٨٥.

(٢) القصص القرآني، (٤/ ٢٩).

(٣) الأنبياء في القرآن قصص وعبر، هدى جعفر، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م، ص٣٤٩.

ـ والضِّغْثُ: قيل: هي أعوادُ النخيل، يعني الجريد أو السَّعف الجاف، وقيل: هو الحشيش الذي يبسَ، جمع مئة عود[١]. وقيل: هو حزمةٌ من شماريخ البلح[٢].

ب ـ ﴿وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾:

ولا تحنث في يمينك[٣]، فيتحلَّل من قَسَمه، ويبرّ بيمينه، وهذا مخرجٌ لمن اتّقى الله وأطاعه، ورحمة به وبزوجه التي قامت على رعايته، وصبرتْ على ابتلاءاته[٤].

لقد كانت امرأةُ أيُّوب عليه السلام مثالاً للمرأة الصَّالحة المخلصة لزوجها، فإنَّها لم تتخلَّ عنه سنوات محنته، وكانت تخدمُه وتعاونه في شؤونه، وتحمَّلت مرضَه، وأحسنتْ إليه[٥].

لقد لازمته هذه الزوجةُ الكريمةُ ملازمةً تامَّة، وكانت الوحيدةَ التي حَنَّتْ عليه طيلة ابتلائه، فقد كانت تقدِّر حقَّ الزوجيَّة حقَّ التقدير، وتقومُ بواجبها خير قيام، إنَّها تذوَّقت معه السعادة في أيَّام نعمته، وها هي ذي تتوفَّر بكلِّ جهدها عليه في أيَّام ابتلائه، لقد أخذت تدبِّر أمرَ المعيشة له ولها بكلِّ وسيلة شريفة، حتَّى اضطرَّتها الظروفُ في النهاية إلى أن تعملَ عند ذوي النعمة، فخدمتْ بعد أن كانت مخدومة، وتردَّدتْ على الأثرياء بعد أن كان قصرها يزدحمُ بالمتردِّدين عليها، وكان النَّاس يشفقون عليها

(١) فبهداهم اقتده، ص٢٨٥.
(٢) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٢٩٥٥).
(٣) تفسير الطبري، (٢٣/ ١٦٦، ١٦٧).
(٤) أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم، ص٢٥٧.
(٥) الثمين في قصص الأنبياء والمرسلين، زهير علي كاخي، دار المأمون للتراث، ٢٠٠٣م، ص٧٨.

فيستخدمونها حتَّى ولو لم يكونوا في حاجةٍ إلى خدمة، من أجل أن يعطوها القليلَ الذي يسدُّ جوعَها وجوعَ زوجها.

ومع ذلك فإنَّ أمرها وأمر زوجها لم ينتهِ إلى هذا الحدِّ فحسب، فقد تردَّدت إشاعةٌ في جميع الأرجاء أنَّ من يستخدم امرأة أيُّوب ربما ناله من بلائه، وحلَّ عليه من شقائه، وتردَّدت على الأبواب فلم تُفتحِ الأبوابُ لها، وبحثتْ عن عمل فلم تجدْ، وطَوتْ هي وزوجها ذلك اليوم، وباتا جائعين، وفي جِوارها القصورُ والنعيم، وبالقرب منها ذوو الثَّراء من الأقارب والأباعد، وفكَّرت هذه السَّيِّدة، وأطالت التفكير، فكَّرت في أمر الخروجِ من هذا المأزق المفاجئ، ومن هذه الشِّدَّة الجديدة، وكانت ذاتَ شعرٍ طويل جميل، فرأتْ وهي في محنتها أن لا حاجةَ لها بهذا الشعر، وماذا تصنع به وحياتُها وحياةُ زوجها على أبواب النهاية؟![1]

يقول الإمامُ ابن كثير رحمه الله: «فلمَّا لم تجدْ من يستخدمها عمدتْ فباعتْ لبعض بناتِ الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيِّب كثير، فأتتْ به أيُّوب فقال:

- من أين لكِ هذا؟ وأنكره.

- فقالت: خدمتُ به أناساً.

فلمَّا كان الغدُ لم تجدْ أيضاً من يستخدمها؛ فباعتِ الضفيرةَ الأخرى بطعام، فأتته به، فأنكر أيضاً، وحَلَفَ لا يأكله حتَّى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفتْ عن رأسها خِمارَها، فلمَّا رأى رأسها محلوقاً قال في دعائه لربِّه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]»[2].

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء، ص١٧٠.

(٢) البداية والنهاية، (١/ ٣١٧).

واستجاب الله للنِّداء، وهو الذي يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه ويكشف السوء، وعادت الحياةُ باسمةً، فيها الثَّراء، وفيها النِّعمة، وفيها ذكرياتٌ للوفاء وللصبر، وشعور عامر برضوان من الله ومحبَّة منه سبحانه[١].

وأكرم الله أيُّوب عليه السلام بهذه الرخصة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾، قال ابنُ كثير رحمه الله: «كان من حلفه ليضربنَّ امرأته مئةَ سوط، فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها، وقيل: لأنَّه اعترضها الشَّيطانُ في صورة طبيبٍ يصفُ لها دواءً لأيُّوب، فانتبه فأخبرته، فعرف أنَّه الشَّيطان، فحلف ليضربنَّها مئة سوط، فلمَّا عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذَ ضِغْثاً ويضربها به ضربةً واحدة، ويكون هذا مُنزَّلاً منزلةَ الضرب بمئةِ سوط، ويبرُّ ولا يحنث، وهذا من الفَرَج والمخرج لمن اتَّقى الله وأطاعه، ولاسيَّما في حقِّ امرأته الصَّابرة المحتسبة المكابدة الصدِّيقة البارَّة رضي الله عنها»[٢].

ج ـ تفسير الشيخ الطَّاهر بن عاشور رحمه الله للآية: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾:

قال رحمه الله في الآية: «وهذا له قصَّةٌ أخرى أشارتْ إليها الآيةُ إجمالاً، ولم يردْ في تعيينها أثرٌ صحيح، ومجملُها أنَّ زوجة أيُّوب حاولتْ أن تجد عملاً، ففسد عليه صَبْره من استعانةٍ ببعض النَّاسِ على مواساته، فلمَّا علم بذلك غضب، وأقسم ليضربنَّها عدداً من الضَّرب ثمَّ ندم، وكان محبَّاً لها، وكانت لائذةً به في مدَّة مرضه، فلمَّا سُرِّي عنه أشفق على امرأته من ذلك، ولم يكنْ في دينهم كفَّارة يمين، فأوحى الله إليه أن يضربَها بحزمةٍ فيها عددٌ من الأعواد بعددِ الضربات التي أقسم عليها رِفْقاً بزوجه لأجله، وحِفْظاً ليمينه من حِنْثِه، إذ لا يليقُ الحنثُ بمقام النُّبوَّة، وليست

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء، ص١٧٠.

(٢) البداية والنهاية، (١/ ٣٢٠).

هذه القضيَّة ذات أثرٍ في الغرض الذي سيقتْ لأجله قصَّة أيُّوب من الأسوة، وإنَّما ذُكرتْ هنا تكملةً لمظهرِ لطفِ الله بأيُّوب جزاءً على صَبْره.

ومعاني الآية ظاهرةٌ في أنَّ هذا الترخيص رفق بأيُّوب، وأنَّه لم يكنْ مثله معلوماً في الدِّين الذي يدينُ به أيُّوب اتِّقاء على تقواه، وإكراماً له لحبِّه زوجته، ورِفْقاً بزوجه لبرِّها به، فهو رخصةٌ لا محالةَ في حكم الحِنْث باليمين»[1].

فجاء علماؤنا ونظروا في الأصل المقرَّر في المسألة المفروضة في أصول الفقه، وهي: أنَّ شرعَ من قبلنا هل هو شرعٌ لنا إذا حكاه القرآن أو السُّنَّة الصَّحيحة، ولم يكنْ في شرعنا ما ينسخُه من نصٍّ أو أصل من أصول الشَّريعة الإسلاميَّة؟

فأمَّا الذين لم يروا أنَّ شَرْعَ مَنْ قبلنا شرعٌ لنا، وهم أبو بكر الباقلَّانيُّ من المالكيَّة وجمهور الشَّافعيَّة وجميع الظَّاهريَّة، فشأنُهم في هذا ظاهر، وأمَّا الذين أثبتوا أصلَ الاقتداء بشرع مَنْ قبلنا بقيوده المذكورة، وهم مالك وأبو حنيفة والشافعيُّ، فتخطَّوا للبحث في أنَّ هذا الحكم الذي في هذه الآية هل يقرَّر مثله في فقه الإسلام في الإفتاء في الأيمان، وهل يُتعدَّى به إلى جَعْلِه أصلاً للقياس في كلِّ ضربٍ يتعيَّن في الشَّرع له عدد إذا قام في المضروب عذر يقتضي الترخيص بعد البناء على إثبات القياس على الرُّخص؟ وهل يتعدَّى به إلى جَعْله أصلاً للقياس أيضاً لإثباتِ أصلٍ مماثل ـ وهو الحيل ـ بوجهٍ شرعيٍّ للتخلُّص من واجب تكليفٍ شرعيٍّ؟

واقتحموا ذلك على ما في حكاية قصَّة أيُّوب إجمالاً لا يتبصَّر به النَّاظرُ في صفة يمينه، ولا لفظه، ولا نيَّته، إذ ليس من مقصدِ القصَّة.

فأمَّا في الأيمان فقد كفانا الله التكليفَ بأنْ شرَّع الله لنا كفَّارات

(١) التحرير والتنوير، (٩/ ٥٢١).

الأيمان، وقال النبيُّ ﷺ: «إنِّي والله لا أحلفُ على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفَّرتُ عن يميني، وفعلتُ الذي هو خير»، فصار ما في شرعنا ناسخاً لما شُرع لأيُّوب، فلا حاجةَ إلى الخوض فيها، ومذهب الحنفيَّة العمل بذلك استناداً لكونه شَرْعاً لمن قبلنا هو قول الشَّافعيَّة.

وقال مالك: «وهذه خاصَّة بأيُّوب، أفتى الله بها نبيَّاً».

وحكى القرطبيُّ عن الشَّافعيِّ: «أنَّه خصَّه بما إذا حلف ولم تكن له نيَّة، كأنَّه أخرجه مخرج أقلّ ما يصدقُ عليه لفظ الضَّرب والعدد».

وأمَّا القياسُ على فتوى أيُّوب في كلِّ ضربٍ معيَّن بعددٍ في غير اليمين، أي: في باب الحدود والتعزيرات، فهو تطوُّح في القياس لاختلاف الجنس بين الأصل والفرع، والاختلافُ مقصدُ الشريعة من الكفَّارات، ومقصدها من الحدود والتَّعزيرات، ولترتيب المفسدة على إهمالِ الحدود والتعزيرات دون الكفَّارات، ولا شكَّ في أنَّ مثل هذا التسامح في الحدود يفضي إلى إهمالها وتصييرها عبثاً.

وما وقع في سنن أبي داود من حديث أبي أمامة عن بعض أصحابِ رسول الله ﷺ من الأنصار: أنَّ رجلاً منهم كان مريضاً مُضْنىً، فدخلتْ عليه جارية، فهشَّ لها، فوقع عليها، فاستفتوا له رسولَ الله وقالوا: لو حملناه إليك لتفسَّخت عظامه، ما هو إلا جلد على عظم، فأمر رسولُ الله ﷺ أن يأخذوا له مئة شمراخ فيضربوه بها ضربةً واحدة.

ورواه غيرُ أبي داود بأسانيد مختلفة، وعبارات مختلفة، وما هي إلا قصَّة واحدة، فلا حُجَّة فيها لأنَّها تطرَّقتها احتمالات:

ـ **أوَّلها**: أنَّ ذلك الرجل كان مريضاً مُضنىً، لا يُقام الحدُّ على مثله.

ـ **ثانياً**: لعلَّ المرضَ قد أخلى بعقله إخلالاً أقدمه على الزنى، فكان المرضُ شبهةً تدرأ الحدَّ عنه.

ـ **الثالث**: أنَّه خبرُ آحاد لا يُنقض به التواتر المعنويُّ الثابت في إقامة الحدود.

ـ **الرَّابع**: حَمْله على الخصوصيَّة، ومذهب الشَّافعيِّ أنَّه يعملُ بذلك في الحدِّ للضَّرورة، كالمرض، وهو غريبٌ؛ لأنَّ أحاديثَ النبيِّ ﷺ وأقوال السَّلف متضافرةٌ على أنَّ المريض والحامل يُنتَظران في إقامة الحدِّ عليهما حتَّى يبرأا، ولم يأمر النبيُّ ﷺ بأن تُضربَ الحامل بشماريخ، فماذا يفيد هذا الضربُ الذي لا يزجر محرّماً، ولا يدفع مأثماً؟!

وفي أحكام الجصَّاص عن أبي حنيفة مثل ما للشافعيِّ. وحكى الخطَّابيُّ: «أنَّ أبا حنيفة ومالكاً اتّفقا على أنَّه لا حدَّ إلا الحدّ المعروف، فقد اختلف النقلُ عن أبي حنيفة»(١).

وقال الشيخُ عبد العزيز بن مرزوق الطريفيُّ: «ومن الفقهاء مَنْ حمل هذا على الحِيَل المشروعة، ومنهم مَنْ لم يجعلْها من الحِيَل، وإنَّما جعلها من حَمْل اليمين على الألفاظ ومقاصدها»(٢).

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]:

ـ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ﴾؛ فيما أصابه من بلاء وطلب الشِّفاء من الله تعالى، وتمنِّي العافية لا يخلُّ بالصبر(٣).

وهذه الآية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، شهادةٌ من الله لأيُّوب بالصبر. لقد شهدَ الله تبارك وتعالى لأيُّوب عليه السلام بالصبر على الابتلاء الذي ابتلاه الله، علماً بأنَّه كان ابتلاءً عامَّاً في جسمه وولده وماله

(١) التحرير والتنوير، (٩/ ٥٢٣).

(٢) التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبد العزيز الطريفي، مكتبة دار المنهاج، ٢٠١٧م، (٤/ ٢٠٢١).

(٣) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص٤٩٥.

ولمدَّة طويلة، وقد مرَّ معنا صُوَرٌ من هذا الابتلاء، ومدَّته، وكيف كان يواجه أيُّوب عليه السلام هذا الابتلاء[١].

أ ـ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾:

ـ ﴿إِنَّآ﴾؛ أي: إنَّ الخطابَ من الله الحاضر غير الغائب، ذي المجد والعظمة والسلطان؛ بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ـ ﴿وَجَدْنَٰهُ﴾؛ أنَّه ظهر في صَبْره ما كان في علم الله منه[٢]. ﴿وَجَدْنَٰهُ﴾ بصيغة الجمع للتفخيم.

ـ ﴿صَابِرًا﴾؛ الآية الكريمة تبيِّن أنَّ أيُّوب عليه السلام مدحه الله، وأثنى عليه بهذا الوصف الربَّاني العظيم، فصَبْرُه ممتدٌّ في طاعة الله بلا نهاية، لولا تدخُّل القوَّة الإلهيَّة في لحظة عرض أيُّوب لحاله على أرحم الرَّاحمين[٣].

إنَّ ذكر قصَّة أيُّوب عليه السلام في القرآن الكريم، وثناء الله عليه جعلته يشتهرُ عند الخاصَّة والعامَّة بالصَّبر الجميل، ولا يضارعه أحدٌ من بني آدم، ولن يوجدَ صابر مثله في قابل الأيَّام حتَّى ضُرِبَ به المثلُ في الصبر، فيُقال: صبر كصبر أيُّوب[٤]، فأيُّوب إمام الصَّابرين[٥].

إنَّ أيُّوب عليه السلام مدرسةٌ كبيرةٌ في تعلُّم الصبر، والتدرُّب عليه، وتعليمة لأولادنا وأُسرنا ومجتمعاتنا وشعوبنا، حتَّى نعتاده ويعتادوه[٦].

---

(١) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص١٤٣.

(٢) التحرير والتنوير، (٩/ ٤٥٣).

(٣) الشخصيات القرآنية، د. نزيه محمد اعلاوي، دار الصفاء، ٢٠١٩م، ص١٤٣.

(٤) الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، د. علي العريبي، دار ابن حزم، ٢٠١٤م، ص٧٦.

(٥) قصص الأنبياء، عمرو خالد، ص٤٣٥.

(٦) من أنباء القرى، د. أحمد الكبيسي، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٧م، ص٤٣٥.

وإنَّ الله عز وجل شهد لأيُّوب عليه السلام بالصبر، وجعله قُدْوَةً لنبيِّه عليه السلام وسائر الخلق، وفي الصِّلة بين قصَّة أيُّوب وأمر النبيِّ ﷺ بالصبر على ما يلقاه من قومه، يقول الرَّازيُّ رحمه الله: كأنَّ الله تعالى قال: يا محمَّد، اصبرْ على سفاهة قومك، فإنَّه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ولا مالاً من داود وسليمان عليهما السلام، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيُّوب، فتأمَّل في أحوال هؤلاء لتعرفَ أنَّ أحوالَ الدنيا لا تنتظم لأحد، وأنَّ العاقل لابدَّ له من الصَّبْر على المكاره(١).

إنَّ من القِيَم العظيمة التي اهتمَّ بها القرآنُ الكريم قيمة الصبر، فهو من أبرز الأخلاق القرآنيَّة التي عني بها الذكرُ الحكيم في سوره المكيَّة والمدنيَّة، وهو أكثر خُلُق تكرَّر في القرآن الكريم(٢).

يقول الإمامُ الغزاليُّ في كتاب (الصبر والشكر) من (ربع المنجيات) من كتابه إحياء علوم الدين: ذَكَر الله تعالى (الصبر) في القرآن في نيّف وسبعين موضعاً(٣).

ونقل العلَّامةُ ابن القيِّم في مدارج السَّالكين عن الإمام أحمد، وكذلك نقل أبو طالب المكِّي في قوت القلوب عن بعض العلماء قوله: أيُّ شيء أفضل من الصبر، وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيِّف وتسعين موضعاً؟! ولا نعلمُ شيئاً ذكره الله تعالى بهذا العدد إلا الصبر(٤).

---

(١) أخلاق الأنبياء عليهم السلام، محمد درويش، دار الحضارة، الرياض، ص١٣٢، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرَّازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (٢٦/ ٢١٢).

(٢) الصَّبْر في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م، ص١١.

(٣) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام، أبو حامد محمد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، (٤/ ٦١).

(٤) قوت القلوب، أبو طالب المكي، ٢٠٠٦م، (١/ ١٩٧).

والنَّاظر في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم يجد مادَّة (ص ب ر) بكلِّ مشتقَّاتها، قد وَرَدَتْ في القرآن مئة مرَّة وبضع مرَّات.

ولا مُنافاة في رأي الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي رحمه الله بين هذه التقديرات على اختلافها، وبين الإحصاء الرقمي للمعجم المفهرس؛ لأنَّ الموضوعَ الواحد قد تذكر فيه مادَّة (ص ب ر) أكثر من مرَّة، فيحسبها بعضُهم موضعاً واحداً، وبعضهم موضعين أو أكثر، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٧].

فالمادَّة هنا ذُكرتْ أربعَ مرَّات في آيتين، بحيث يمكن أن تُحسب موضعاً واحداً، وأن تُحسب موضعين باعتبارين، وفي قصَّة موسى مع العبد الصَّالح في سورة الكهف، تردَّد ذكر الصَّبْر عدَّة مرَّات، ويمكن اعتبارها كلّها موضعاً واحداً.

والصَّبر في اللغة: الحبس والكفُّ، ومنه قتل فلان صبراً؛ إذا أُمْسِك وحُبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ أي: احبسْ نفسك معهم.

ويُقابل الصَّبر: الجزع، كما في قوله تعالى على لسان أهل النَّار: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وهو في القرآن يعني: حَبْس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقد تكلّم العلماء عن أنواع الصَّبْر في القرآن الكريم، وضرورته:

- ضرورة المحنِ لأهل الإيمان.
- ضرورة الصَّبْر لرسل الله عز وجل.
- أوامر الله لرسوله بالصبر.

ـ حُكْم الصبر.

الباعث على الصبر:

لم يكتفِ القرآن بالأمر بالصبر، والثناء على أهله، وأناط كلَّ خير عاجل أو آجل به، بل عني ـ إلى جوار ذلك ـ بالباعث على الصبر، والدافع إليه، فالصبر المحمود في القرآن هو ما كان لله تعالى، لا لكسب محمدة أو بطولة عند النَّاس.

ولهذا قال سبحانه لرسوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]؛ أي: اجعلْ صبرك لربِّك لا لأحد غيره، فالصبرُ هنا عبادة وقُربة إلى الله جل جلاله.

ـ والمؤمن مأمور بالمصابرة مع الصبر(١).

ـ والصبر المحمود ما كان في أوانه.

وتكلَّم القرآنُ عن مجالات الصبر، ومنها:

ـ الصَّبْر على بلاء الدنيا، ولأيُّوب النصيب الأكبر.

ـ الصَّبْر على مشتهيات النفس.

ـ الصَّبْر على طاعة الله، وهو من الأنبياء والمرسلين.

ـ الصَّبْر على مشاقِّ الدَّعوة إلى الله.

ـ الصَّبْر حين البأس.

ـ الصَّبْر في مجالات العلاقات الإنسانيَّة.

وقد بيَّن القرآنُ الكريم منزلةَ الصَّبْر والصَّابرين، فالصبرُ مقامٌ من أرفع مقامات الدِّين، وخُلُق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجلِّ منازل الصَّالحين، وشُعْبة من أبرز شُعَب الإيمان، وعروة من أوثق عرا الإسلام،

(١) الصَّبْر في القرآن الكريم، القرضاوي، ص٢٧ إلى ٤٦.

حتَّى إنَّ القرآنَ الكريمَ جعله مفتاح كلِّ خير، وباب كلِّ سعادة في الدنيا والآخرة، والدليلُ على ذلك[١] عدَّة أمورٍ، منها:

ـ اقتران الصَّبْر بالقيم الروحيَّة العليا في الإسلام:

من ذلك أنَّه قرن الصَّبر:

● **باليقين**: كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والمرادُ باليقين ـ كما يقول الغزاليُّ ـ المعارف القطعيَّة الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدِّين. والمراد بالصبر: العملُ بمقتضى اليقين، ونصلُ إلى اليقين عن طريق معرفة أنَّ المعصية ضارَّة والطَّاعة نافعة، ولا يمكن تركُ المعصية والمواظبة على الطَّاعة إلا بالصبر، وهو استعمالُ باعث الدين في قَهْر باعث الهوى والكسل، فيكون الصَّبْرُ نصفَ الإيمان بهذا الاعتبار[٢].

● **وبالشكر**: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

● **وبالتوكُّل**: في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

● **وبالصَّلاة**: كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

● **وبالتَّسبيح والاستغفار**: كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

---

(١) الصَّبْر في القرآن الكريم، المصدر السَّابق، ص٧٥.

(٢) إحياء علوم الدين، (٤/٦٦).

• **وبعمل الصَّالحات**: كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هود: ١١].

• **وبالتقوى**: كما في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

• **وبالحق**: كما في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

• **وبالرحمة**: كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧][(١)].

وقد نوَّه القرآنُ الكريمُ بمكانة الصَّابرين، وموضعهم في أهل الإيمان، في مثل قوله تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤ ـ ٣٥].

ولقد رتَّب القرآنُ خيرات الدنيا والآخرة على الصبر، فالنجاحُ في الدنيا، والفلاحُ في الآخرة، والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار، وكلُّ خير يحرصُ عليه الفرد أو المجتمع، منوطٌ بالصبر.

ومن هذه الخيرات التي ذكرها القرآن الكريم[(٢)]:

• **معيَّة الله تعالى للصابرين**:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وهي معيَّة خاصَّة تتضمَّن الحفظَ والرعاية والتأييد والحماية، وليست

---

(١) الصَّبْر في القرآن، ص٨١.

(٢) الصَّبْر في القرآن، المصدر السَّابق، ٨٥.

معيَّة العلم والإحاطة؛ لأنَّ هذه معيَّة عامَّة لكلِّ الخلق: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤][(١)].

- **محبَّة الله لهم:**

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

- **إطلاق البشرى لهم بما لم يجمع لغيرهم:**

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ـ ١٥٧].

فجمع لهم بين الصَّلوات، والرحمة، والاهتداء، وكان يقرؤها عمر بن الخطاب ويقول: نِعمَ العدلان، ونعمت العلاوة للصابرين.

يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة.

وبالعلاوة: الهدى، والعلاوةُ: ما يحمل فوق العدلَيْن على البعير.

- **إيجاد الجزاء لهم بأحسن أعمالهم:**

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

- **أجورهم بغير حساب:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

- **ضمان النُّصرة والمَدَد لهم:**

قال تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

---

(١) الصَّبْر في القرآن: ص٨٦.

- **الحصول على درجة الإمامة في الدِّين:**

نقل العلَّامةُ ابنُ القيِّم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: بالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدِّين، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

- **الثَّناء عليهم بأنَّهم أهل العزائم والرجولة:**

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

- **حِفْظهم من كيد الأعداء:**

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠][(١)].

- **استحقاقهم دخول الجنَّة، وتسليم الملائكة عليهم:**

قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

- **انتفاعهم بعِبر التاريخ واتِّعاظهم بآيات الله في الأنفس والآفاق:**

قال تعالى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٢ ـ ٣٣].

وسمَّى الله عز وجل شخصيَّات صابرة ذَكَرها في القرآن الكريم، وهذا من دلائل عنايته بفضيلة الصَّبْر، وحرصه على توجيه المسلمين للتحلِّي بها، وتربيتهم على ممارستها خُلُقاً وسلوكاً، وهذا ما عرضه من خلالِ قصصه

(١) الصَّبْر في القرآن، ص٨٨.

من شخصيَّات تُعدُّ أمثلةً رائعةً في التحلِّي بالصبر في ألوانه المتعدِّدة ومجالاته المتنوِّعة(١).

ومن هذه الشَّخصيَّات أو النماذج:

ـ أيُّوب عليه السلام، وقد مرَّ بنا قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١].

وفي هذه الآيات تكريمٌ وأيّ تكريم، وتشريف وأيّ تشريف من الله تعالى لأيُّوب عليه السلام، حيث بدأ القَصْرُ بخطاب رسوله محمَّد ﷺ بقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ...﴾، وهذه العبارةُ تحمل معنى التخليد للمذكور بعدها في أعظم كتب الله، وجعله موضعَ الاقتداء والتأسِّي فيما اختصَّ به من فضله، لأعظم رسل الله، فهذه كما قال أبو طالب المكِّي: كلمة مباهاة؛ باهى بأيُّوب عند رسوله المصطفى ﷺ، وشرّفه، وفضّله بقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد، فأمره بذكره والاقتداء به كقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وشرّف الله أيُّوب مرَّة أخرى بقوله: ﴿عَبۡدِنَا﴾ فأضافه إليه إضافةَ تخصيصٍ وتقريب، ولم يُدْخِلْ بينه وبينه لام الملك، فيقول: عبداً لنا.

وشرَّفه مرَّة ثالثة حين استجاب له نداءه، وَرَدَّ عليه عافيته، ووهب له أهلَه ومثلهم معهم، ورحمة منه وذكرى لأولي الألباب.

ومرَّة رابعة حين جعل له مخرجاً من يمين حَلفه على امرأته، وهو في مرضه تخليصاً له من مأزق الحنْث، وتكريماً له على جميل صَبْره(٢).

وتُوِّج هذا كلُّه بهذا التذييل الكريم بهذه العبارة:

ـ ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٣٠]؛ فهذا التذييلُ يحملُ

(١) الصَّبْر في القرآن، ص٩٥.

(٢) الصَّبْر في القرآن، ص٩٥.

أسبابَ التشريف السَّابق، وهو في ذاته تشريفٌ جديد، في كلِّ جملة من الجمل الثلاث، وحسبك أن يُسجِّل الله له فضيلة الصَّبْر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٣٠]، فوصل اسمه باسمه، ووَصَفه بالصبر، فأظهر مكانه في القوَّة والعزيمة(١).

وذكر الله في كتابه قصَّة يعقوب عليه السلام، ويوسف الصديق عليه السلام، وقد توسَّعت في الحديث عنهما في كتابي «النبيّ الوزير يوسف الصديق من الابتلاء إلى التمكين».

وصَبْر إسماعيل عليه السلام، وقد ذكرتُ قصَّته في كتابي (إبراهيم خليل الرحمن داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة).

وصَبْر أولي العزم من الرُّسل، وذكرتُ سيرتهم بالتفصيل في موسوعة: (نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام).

ومع مشقَّة الصبر، وصعوبته على النفس، أشار القرآنُ إلى جملة أمور تعين على الصَّبْر وتُهوِّنه على النفس، منها:

- معرفة الإنسان الدنيا.
- اليقين بحسن الجزاء عند الله.
- اليقين بالفَرَج.
- الاستعانة بالله.
- الاقتداء بأهل الصَّبْر والعزائم.
- الإيمان بقضاء الله وقدره.

---

(١) الصَّبْر في القرآن، ص٩٥.

ـ الحذر من الآفات العائقة عن الصَّبر، كالاستعجال، والغضب، وشدَّة الحزن والضيق واليأس[١]. وهذه الأمورُ من المعوِّقات عن الصبر.

ب ـ ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾:

ـ ﴿نِّعۡمَ﴾؛ فكلمة نِعْمَ فعل جامد معناه: المدح والثناء[٢].

ـ ﴿ٱلۡعَبۡدُ﴾؛ فالله يمدحُ أيوبَ ويثني عليه بأنَّه وصل إلى أرقى درجات الكمال الإنسانيِّ، وهي العبوديَّةُ لله، والإذعان له[٣]، فقد كمَّل مراتبَ العبوديَّة في حال السَّراء والضَّراء، والشدَّة والرَّخاء[٤].

ـ ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾؛ وليس هناك أشرف من وَصْفِ الإنسانِ بالعبوديَّة لله تعالى، فكيف بمن قيل فيه ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾[٥]؟!

وهذا الوصفُ مشعر بتحقيق كمال العبوديَّة بالاجتهادِ في الطَّاعة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾، هو تشريفٌ لمنزلة أيُّوب عليه السلام فجمع بذلك بين تكريمين:

الأوّل: ذكره عليه السلام بعنوان العبوديَّة.

الثاني: وإضافته إلى ضمير التعظيم، وهذا تعظيمٌ له عليه السلام، ورفع لمحلِّه وقدره[٦].

وقد أخلص أيُّوب عليه السلام في تحقيق عبوديَّته لله عز وجل في

---

(١) الصَّبْر في القرآن، المصدر السَّابق، ص١١٧ إلى ١٤١.

(٢) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص٤٩٦.

(٣) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص٤٩٦.

(٤) الثناء في القرآن الكريم، هتون فلمبان، دار ابن حزم، ٢٠١٦م، ص٣٤١.

(٥) الصَّبْر في القرآن، ص٩٥.

(٦) نوح عليه السلام والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٩م، ص١١٩.

أقواله، وأعماله الظَّاهرة والباطنة، وكان من أكمل العِباد تحقيقاً للعبوديَّة؛ فعبادُ الله يرتقُون في درجاتِ العبوديَّة بحسب نُصْحِهم فيها، وسَعْيهم في تحقيقها، وأهل الكمال في ذلك سبقت لهم من الله الحسنى يتبوَّءون منها أرفعها، بما يزدادونه من معرفة ربّهم، وإقبالهم على مرضاته، تصديقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]. فيزيدهم محبَّة له، وتعظيماً لقدره جلَّ وعلا، فيكون أكمل الخلق، وأفضلهم، وأقربهم إلى الله وأقواهم، وأهداهم، وأتمّهم عبوديَّة لله من هذا الوجه(١).

وإنَّه وجَّه كمال المعرفة، وكمال المحبَّة، فجعلها أصل تحقيق العبوديَّة، والمكمِّلون لهذا هم عبادُ الله حقاً، وهم أولياؤه المتَّقون، وعلى رأسهم أنبياءُ الله ورسله(٢). فعبوديَّتهم هي عبوديَّة خاصَّة الخاصَّة التي لا يستطيعُ أحدٌ أن يباريهم فيها(٣).

وإنَّ الأنبياءَ والمرسلين عرفوا الله بالوحي، والفِطْرة السليمة، والعقل الرَّاجح حقَّ المعرفة، وعبدوه حقَّ العبادة، وهم أشدُّ النَّاس اجتهاداً في العبادة، لما امتنَّ عليهم من معرفته، وهم دائبون على شُكْره، معترفون له ـ مع تمام اجتهادهم ـ بالتقصير في أداء حقِّه(٤).

وقد وصفهم الله بالعبوديَّة في مقام تكريم شأنهم، فقال تعالى عن نوح

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ٢٠٠٦م، (١٠/ ٢١٠).

(٢) تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف الكردي، دار طيبة، الرياض، السعودية، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢١هـ، ص٨٣.

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ابن عثيمين، دار العاصمة، (١/ ٣٦).

(٤) فتح الباري، (١١/ ٣٢١).

عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن محمَّد ﷺ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال في آخرين من الرُّسُل: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥]. وهم عليهم السلام مع عظيم قَدْرهم في تحقيق العبودية متفاوتون في المراتب، متفاضلون في الدَّرجات، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٣٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٥].

فأعلاهم درجة أولو العزم من الرُّسل، ثمَّ باقي الرُّسل، فالأنبياء[١].

وأكملُ أولو العزم خاتمُهم وإمامهم رسولُ الله محمد ﷺ؛ الذي وصفه الله تعالى بكمال العبوديَّة في مواطن كثيرة، وأمَّا أيُّوب عليه السلام فقد أثنى عليه الله عز وجل في قوله: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

- ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾؛ وشهد له أيضاً بأنَّه أوَّاب، وكلمة أوَّاب على وزن فعَّال، وصيغة فعَّال من صيغ المبالغة، فهي تفيدُ شهادة الله لأيُّوب بأنَّه كثيرُ الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بالإنابة والابتهال والعبادة[٢].

- ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾؛ أي كثير الرجوع إلى الله في جميع الأمور، ومنيبٌ إليه بالحبِّ والطَّاعة، والخوف والرجاء، وكثرة التضرُّع والدُّعاء، ورجَّاع إلى الله تعالى، حريص على رضاه، كثير الذكر له، تضرَّع إليه بأدب، وسأله كشف الضُّرِّ بلطف، لم يُبعده ابتلاء الله له بالضَّرَّاء عن الله، بل زاده إقبالاً عليه، واتصالاً به، ولم يُبعده ابتلاءُ الله بعد ذلك بالسَّراء عن الله،

(١) تحقيق العبوديَّة بمعرفة الأسماء والصفات، ص٨٥.

(٢) مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، ص٤٩٦.

بل زاده إقبالاً عليه وصِلَة به. وصبر في حالة الضَّراء؛ لأنَّه أوَّاب، وشكر في السَّراء لأنَّه أوَّاب[١].

ج ـ مَنِ الأفضل: الغنيّ الشَّاكر أم الفقير الصَّابر؟

سُئل سفيان عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر، وأُنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء؛ لأنَّ الله تعالى أثنى عن عبدين أحدهما صابر، والآخر شاكر، ثناء واحداً، فقال في وصف أيُّوب ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقال في وصف سليمان: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠][٢].

وقد رجَّح ابنُ القيِّم في كتاب عدة الصَّابرين أنَّ أفضلهما أتقاهما لله عز وجل[٣]. وإذا كان داود وسليمان عليهما السلام قد وضعا في البناء المحكم لبنة الشكر، فإنَّ اللبنةَ التي وضعها أيُّوب عليه الصلاة والسلام كانت لبنةَ الصَّبْر. والشكر والصبر أساسان لابدَّ منهما في هذا البناء الإنسانيِّ، ولهذا ذكر هؤلاء الثلاثة في قوله: ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ نسأل الله أن يمنَّ علينا بالشكر والصبر[٤].

د ـ أيُّوب عليه السلام نموذج للنفس المطمئنَّة:

إنَّ النفس المطمئنَّة هي التي سكنتْ إلى الله سبحانه وتعالى، واطمأنَّت في طاعته، ورضيت بشرعه ومنهجه، فغمرها الإيمان، فتشتاق إلى لقائه وتركن إليه، فهي تحبُّ الخير والحسنات، وتبغض الشرَّ والسيِّئات، وتكره ذلك[٥].

---

(١) القصص القرآني، (٤/ ٢١٧).

(٢) صحيح قصص القرآن، حامد أحمد البسيوني، ص٢٧١.

(٣) صحيح قصص القرآن، المصدر السَّابق، ص٢٧١.

(٤) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص٦٧٦.

(٥) الدروس المستفادة من القصص القرآني، نصرة إبراهيم، دار عباد الرحمن، دار البشير، ص١٤٠.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨].

إنَّ أيُّوب عليه السلام كان متوكِّلاً على الله، ومؤمناً بقضائه وقدره، ومستسلماً له في أحكامه الشرعيَّة والقَدريَّة، فلا قَلَقَ، ولا اضطراب، ولا غفلة، ولا إعراض عن الله، بل إقبال على الله، وصبر على الطَّاعة، وفي النكبة واليقين، بما عنده من الجزاء والرضا بما قدَّره الله، فأصبح مثلاً لأصحاب الابتلاء في الصَّبْر والاحتساب[١]، وفي التضرُّع والدُّعاء، وفي الفَرَج والرخاء[٢].

وإنَّ البشريَّة اليوم تعاني من الفقر الروحي والقلق والاضطراب والضَّنك الكبير في حياتها، وإنَّ العلاجَ الوحيد لهذه الأمراض النفسيَّة هو الرجوعُ إلى دين الله، ورسالته الخاتمة الإسلام، وهذا الطريقُ يكون بأن تسير على نهج الأنبياء والمرسلين، وتخرج من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضَّلال إلى الهداية، وتسعدُ بتوحيدها لخالقها، وإفراده بالعبادة ونبذ كلِّ صور الكفر والشرك والمعاصي والذُّنوب والخطايا.

إنَّ قصَّة أيُّوب عليه السلام تبيِّن لنا دروساً وعبراً وفوائد، منها:

ـ أنَّ الصَّبْر الجميل على البلاء فيه الفوز في الدنيا والآخرة.

ـ أنَّ الله تعالى قد يبتلي من يحبُّه من عباده ليزيد من علوِّ مقامه، ورفعة شأنه.

ـ أهميَّة الدُّعاء، وكما قال ابنُ القيِّم: الدُّعاء إذا سلم من الموانع من أنفع الأسباب في دَفْع المكروه، وحصول المطلوب، فهو من أنفع الأدوية، وهو عدوُّ البلاء؛ يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، أو يخفِّفه إذا

(١) الدروس المستفادة من القصص القرآني، المصدر السَّابق، ص١٤١.

(٢) القصص القرآني، (٤/ ٣٠).

نزل، ولقد ظهر أثره في قول أيُّوب عليه السلام ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٨٣].

ـ جمع أيُّوب عليه السلام في هذا الدُّعاء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر، والفاقة إلى ربِّه، ووجود طعم المحبَّة في التوسل له، والإقرار له بصفة الرَّحمة، وأنَّه أرحم الرَّاحمين، والخضوع له بصفاته العُلا، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه[١].

ـ جمع الله للنبيِّ أيُّوب ثلاث صفات في آية واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤]؛ الصبر، والعبوديَّة، وأوَّاب[٢].

ـ فضل رعاية الزوجة لزوجها المبتلى، والصَّبر عليه.

ـ رحمة الله لعباده المؤمنين، فقد كانت امرأة أيُّوب ضعيفة عن احتمال مئة ضربة، التي حلف أن يضربها إيَّاها، وكانت كريمة على ربِّها، فخفَّض عنها برحمته، بأن أمر أيُّوب بجمع الضربات بالضِّغْث.

ـ الحثُّ على حسن معاملة الزوجة، والرِّفق بها[٣].

رابعاً: أهمُّ صفات وخصائص أيُّوب عليه السلام ووفاته:

إنَّ حديث القرآن الكريم عن أيُّوب عليه السلام بيَّن لنا أهمَّ صفاته التي منها:

ـ الصبر.

---

(١) قصص القرآن، فؤاد سراج عبد الغفار، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٢) دور الأنبياء في بناء الحضارة الإنسانية، د. علي محمد سعيد، ص١٧٣.

(٣) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الأماجد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، (٢٨/٤٥٦).

- المرحوم.
- الأوَّاب.
- الموهوب.
- عبد الله.
- المنادى.
- المستجاب له.
- الصَّالح.
- الموحى إليه.
- المهدى.
- المحسن.

وقد تعرَّض أخي وصديقي الدكتور عقيل حسن عقيل لشرح مفصَّل لهذه الصِّفات، فمن أراد التوسُّع فليرجعْ إلى كتابه (صفات الأنبياء من قصص القرآن؛ أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس)[١].

ومن أهمِّ خصائصه؛ النُّبوَّة والرسالة، فهو يدخلُ في موكب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وما تميَّزوا به من صفات خاصَّة بالرُّسل؛ كالصدق، والفطانة، والتبليغ، والعصمة، ومكارم الأخلاق، والكمال في الخِلْقة الظَّاهرة، والسلامة من الأمراض المنفِّرة، والحكمة من إرسال الرُّسل ووظائفهم، وما تفرَّدوا به من أمور سيأتي تفصيلُها بإذن الله تعالى، وإليك التفصيل.

(١) صفات الأنبياء من قصص القرآن أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس، الدكتور عقيل حسن، المجموعة الدولية، ٢٠١٠م، ص١٣إلى ٥٧.

١ ـ تعريف الرسُل وصفاتهم:

الرسولُ في اللغة: مشتقٌّ من الإرسال، وهو التوجيهُ، فالرسولُ الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، آخذاً من قوله: جاءت الإبل رسلاً، أي: متتابعة. وسُمِّي الرسولُ رسولاً؛ لأنَّه ذو رسالة[١].

واسمُ الرسول: من أرسلتُ، وكذلك الرسالة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

والنَّبي: فعيل من النبأ مهموزاً، وأصله: النبيء تُركت الهمزة تخفيفاً، وهو بمعنى مُفْعِل ومُفْعَل فهو مُنْبِئ ومُنْبَأ، ومُنْبِئ، أي: مُخبرٌ من الله، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وقال: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

فالنبيُّ هو الذي يُخبر من الله، وهو الذي يُخبر النَّاسَ، أي: يُبلِّغهم أمر الله ونهيه ووحيه، وقد يكون لفظُ النبي من التنبُّؤ غير مهموز، وهو الرفعةُ والمكانة.

أ ـ تعريف الرسول اصطلاحاً:

والرسول في الاصطلاح: هو رجل اصطفاه الله من البشر، واختصَّه بالوحي، وأمره بتبليغه. وهذا التعريفُ يشملُ الأنبياء أيضاً؛ لأنَّ لفظَي النبيِّ والرسول إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا[٢].

ب ـ هل يُنبَّأ الأنبياء قبل سنِّ الأربعين؟

يقول العلماءُ: الأنبياء لا يُنبؤون إلا في سنِّ الأربعين، ولكنّ هذا

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، القرضاوي، (٨/ ٣٦٧).

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة، للقرضاوي، (٨/ ٣٦٨).

الغالب ليس دائماً؛ لأنَّ قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ومعنى (الفتى): صغير السن.

وقال تعالى في شأن سيِّدنا يحيى بن زكريَّا عليهما السلام: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢]. والحكم هو النُّبوَّة، وسيِّدنا عيسى ما زاد عمره عن ثلاث وثلاثين سنة[١].

ج ـ الرسالة الإلهية اصطفاء:

الرسالةُ منحةٌ إلهيَّة يختصُّ بها من يشاء من عباده، فضلاً منه ونعمة، وليست الرسالة درجة علميَّة يمكن الحصولُ عليها بالاجتهاد أو التعبُّد أو التعلُّم، وإنَّما هي اصطفاء واختيار للرسل من بين سائر النَّاس. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

د ـ الرسول يوحى إليه:

إنَّ أخصَّ ما يُميِّز الرسول عن سائر البشر، أنَّه يوحى إليه من الله عز وجل، فالرسول لا يصدر فيما يُبلِّغه إلى النَّاس عن نفسه ورأيه، وإنَّما يتلقَّى ذلك بوحي من الله عز وجل. قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

والوحي لغة: الإعلام بسرعة، وخفاء.

واصطلاحاً: إعلام من الله لنبيِّه بطريقةٍ غير معتادة لدى البشر، تفيدُ الرسول العمل اليقيني القاطع بما أعلمه الله به[٢].

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، القرضاوي، المصدر السَّابق، (٨/ ٣٧٢).

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة، القرضاوي، المصدر السَّابق، (٨/ ٣٧٣).

هـ ـ طريق الوحي:

إنَّ البشر يُحصِّلون عِلمهم بطريق الحواسِّ أو العقل، أمَّا علم الأنبياء تنقسمُ إلى أنواع ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

النوع الأوَّل: أن يُلقي الله سبحانه المعنى في قلب النَّبي مباشرة، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

ويكون ذلك في اليقظة والمنام، وله عدَّة صور:

ـ إلقاء الله معنى يفيضُه على قلب رسوله في حالة اليقظة، ويستيقنُ معه أنَّه من عند الله عز وجل، بحيث لا يجد فيه شكَّاً، ولا يستطيعُ له دفعاً، ويُسمَّى هذا النوعُ من الوحي: (النفث في الرُّوع)، والرُّوع: القلب، وفي الحديث: «إنَّ روحَ القدس نَفَثَ في رُوعي أنَّه لن تموتَ نفسٌ حتَّى تستوفي رزقها وأجلها، فاتَّقُوا الله، وأَجْمِلُوا في الطلب»[(١)].

ورُوحُ القدس: جبريل عليه السلام.

ونَفَثَ في رُوعي: أي ألقى الوحي في قلبي.

ـ ومنها ما يكون رُؤيا صادقة في النوم، ومن ذلك: رؤيا إبراهيم عليه السلام وأمر الله إيَّاه بذبح ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وفي صحيح البخاري، عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: أوَّل ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصَّادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثل فَلَقِ الصبح[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد، رقم٣٥٤٧٣، وقال الحافظ في المطالب العالية، (٩٢٧)، فيه انقطاع.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في التفسير، (٤٩٥٣).

والنوع الثاني: ما يكون مكالمةً بين الله تعالى وبين رُسُله، وهو المرادُ من قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾. كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

والنوع الثالث: ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١].

وذلك أشهرُ أنواع الوحي، ويُسمِّيه العلماء: الوحي الجليُّ، و وحي القرآن كلّه من هذا النوع، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

٢ ـ الفرق بين النبي والرسول:

اختلف العلماءُ في التفريق بين معنى النبي والرسول على أقوال، فرأى بعضُهم أنَّهما سواء، فالنبيُّ والرسول لفظان لمعنى واحد، ورأى البعض: أنَّهما متفرِّقان من وجه ومجتمعان من وجه، كما قال القاضي عياض: والصَّحيح والذي عليه الجَمَّاء الغفير: أنَّ كلَّ رسول نبي، وليس كلّ نبيّ رسولاً[(١)].

والرَّاجحُ في الفرق بين النبيِّ والرسول، أنَّ الرسول مَنْ بُعث بشرع جديد، وأُمر بتبليغه، والنبيُّ من أُمر بالتبليغ، ولكن بشرع من سبقه من الرُّسل، كحال أنبياء بني إسرائيل الذين كُلِّفوا بتبليغ شريعة موسى عليه السلام، والمراد بالشرع هنا، هو: التشريعُ الذي يحوي شيئاً جديداً لم

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الحديث، ٢٠١٠م، (١/ ٢٥١)، تفسير القرطبي، (١٢/ ٨٠).

يكنْ له في التشريع السَّابق، كما في حال عيسى عليه السلام، فقد قال الله في شأنه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

٣ ـ من صفات أيُّوب وبقية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

الرُّسلُ هم سفراء الله تعالى إلى الخَلْق لهدايتهم إلى الحقّ، ودعوتهم إلى الخير. وإن هداية البشر مهمَّة عظيمة، لا يصلحُ لها إلا من توفَّرت فيهم صفاتٌ رفيعةٌ من الكمالات الإنسانيَّة، فالرسولُ رجلٌ اصطفاه الله من البشر، واختصَّه بالوحي، وأمره بتبليغه، فهو مصطفىً، ومُوحى إليه، ومُبلّغ عن الله.

ومِن أهمِّ صفاتهم المتعلِّقة بالرسالة:

أ ـ الصدق:

الرُّسل صادقون في أقوالهم وأعمالهم، قال تعالى على لسان الكافرين حين يُبعثون من قبورهم يوم القيامة: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. ولا يصلح للرسالة كذَّاب، والرُّسل مُبلِّغون عن الله تعالى، وداعون إلى الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]. فيستحيل على النَّبيِّ الكذب، وذلك بنقل وحي الله تعالى إلى النَّاس، فلو صدر منه الكذب لتسرَّب شكُّ النَّاس إلى الوحي الذي ينقله إليهم[١]. ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

ب ـ الفطانة:

هي أن يكونَ الرسولُ ذكيًّاً، عميق الفهم، وحاضر البديهة، وقويّ

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٣٧٨).

الحُجَّة، سديد الرأي، ليس غبيَّاً ولا بليداً؛ لأنَّ الرسول يُربِّي أمَّته، ويجادل خصومه، ويُقيمُ البراهين على صحَّة ما جاء به[١].

ج ـ التبليغ:

لابدَّ لهذا الصَّادق الفَطِن أن يُبلِّغ ما أوحي إليه من الأحكام والشرائع، وهذا مقتضى الرسالة، فقد قام أيُّوب عليه السلام بتبليغ الرسالة حقّ التبليغ.

د ـ العصمة:

حفظ الله تعالى رسلَه من المعاصي والذنوب، ليكونوا أسوةً حسنةً للناس، ولهذا نؤمن نحن المسلمين بعقيدة (عصمة الأنبياء) من الخطايا والرَّذائل التي تنافي تكليفهم هداية البشر، وتنفِّر النَّاس منهم، وتجعلهم عرضةً للانتقاد.

ومعنى العصمة: أنَّهم لا يتركون واجباً، ولا يفعلون محرَّماً، ولا يَقترفون ما يتنافى مع الخُلُق الكريم، فأفعالُهم وأقوالُهم وأحوالُهم دائرة بين الواجب والمندوب، فهم معصومون عن الكبائر، وعن المنفِّرات، ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم معصومون في تبليغ الوحي عن الكذب والنِّسيان والغفلة، ومعصومون عن الزيادة فيه أو إخفاء بعضه. وهم معصومون أيضاً من الوقوع في كبائر الذنوب، وعن الصَّغائر التي تدلُّ على خساسة الطبع، وصَوْناً لعلوِّ مكانتهم[٢].

هـ ـ مكارم الأخلاق:

الرُّسلُ متَّصفون بأرفع الكمالات الإنسانيَّة، ويَتحلَّون بأسمى الأخلاق

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، المصدر السَّابق، (٨/ ٣٧٩).

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، وللتوسع: العصمة في ضوء عقيدة أهل السنَّة، منصور بن راشد التميمي، ص١٥، دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر الألمعي، ص٢٥٠، العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، ص٤٤ ـ ٤٦.

الفاضلة: كالكرم، والعدل، والشَّجاعة، والصَّبر، والعفَّة، والأمانة، والحلم، والحياء، وسائر مكارم الأخلاق، ولذا فقد وصف الله تعالى نبيَّنا الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فالرسالةُ لا يصلح لها بخيل، ولا حقود، ولا حسود، وإنَّما يصلح لها من اتَّصف بكرم النفس وطهارتها، وتحلَّى بالأخلاق الفاضلة، وإنَّما خصَّ الله رسله بهذه الصِّفات ليصحّ الاقتداء بهم، ولو لم يكونوا متميِّزين بهذه الفضائل، معصومين من النقائص، لَمَا كانوا أهلاً لاختصاص الله إياهم بوحيه، ولضعف ثقة النَّاس بهم، ولضاعت الحكمة من رسالتهم(١).

و ـ الكمال في الخِلْقة الظَّاهرة والسَّلامة من الأمراض المنفِّرة:

كما يجب الإيمانُ بصدق الرُّسل، وأمانتهم، وتبليغهم، وفطانتهم، وعصمتهم، فكذلك يجب الإيمان بكمال خِلْقتهم، فهم يتميَّزون بسلامة أبدانهم ممَّا تنفر منه الطِّباعُ السليمة، فلا يمرضون مرضاً منفِّراً أو مُقعداً عن تبليغ رسالاتهم، كالجدري، والجذام، والبرص، والصَّرع، والحمَّى، فإنَّها قد تُصيبهم؛ لأنَّها لا تمنعهم من أداء رسالتهم، وقد كان النبيُّ ﷺ يمرض، وتصدع رأسه، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود: «دخلتُ على رسول الله ﷺ، وهو يوعك وَعْكاً شديداً، فمسسته بيديَّ، وقلت: يا رسول الله إنّك توعكُ وعكاً شديداً، فقال ﷺ: أجل، كما يوعكُ رجلان منكم»(٢).

وما يُحكى عن سيِّدنا أيُّوب عليه السلام من أنَّه اشتدَّ به المرض، وصار الدُّود يخرج من بدنه، كذب وافتراء وتشويهات إسرائيليَّة يتنزَّه منصبُ النُّبوَّة عنها(٣).

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٣٩٠).

(٢) رواه البخاري، رقم (٥٦٦٠).

(٣) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٣٩١).

٤ ـ الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

الإيمانُ بأنبياء الله ورسله ركنٌ من أركان الإيمان، فلا يتحقَّق إيمانُ العبد حتَّى يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، ويصدِّق بأنَّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر، وإرشاد الخَلْق، وإخراج النَّاس من الظُّلمات إلى النور، وأنَّهم بلَّغوا ما أُنزل إليهم من ربِّهم البلاغ المبين، فبلَّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمم، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث»(١).

والإيمانُ بأنبياء الله تعالى ورسله لا يتمُّ حتَّى يؤمن العبد بجميعهم من غير حصر، ومن قصَّهم الله علينا ومن لم يقصصهم، فقد أخبرنا جلَّ وعلا أنَّ هناك أنبياء لم يقصصهم علينا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨].

فنؤمن بما سمَّى الله في كتابه من رسله، ونؤمن بأنَّ الله سوَّاهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، ونؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرُّسل، إيمانك بسائر الرُّسل: إقرارك بهم، وإيمانك

(١) البخاري، رقم (٤٨).

بمحمد إقرارك به، وتصديقك إيَّاه دائباً على ما جاء به، فإذا اتَّبعت ما جاء به أدَّيت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرَّمت الحرام، ووقفت عند الشُّبهات، وسارعت في الخيرات[١].

ومن أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميعَ الرُّسل، ومن آمن بواحدٍ منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع؛ لأنَّ كلَّ رسول يصدِّق الآخر ويقول: إنَّه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذَّب الذي صدَّقه، ومن عصاه فقد عصى مَنْ أمر بطاعته[٢].

٥ ـ عدد الرُّسل:

أرسل الله سبحانه رسلاً إلى جميع الأمم، لا يعلم عَدَدهم إلا الله سبحانه، وقد قصَّ القرآنُ الكريمُ علينا بعضاً منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وتشير الآياتُ القرآنيَّة إلى أنَّ الأنبياء والرُّسل أعدادهم وفيرة، ومن دلائلِ ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]. أي: متتابعين، ودلَّت الآية على أنَّ الرُّسل عليهم السلام تتابعوا واحداً تلو الآخر، ممَّا يدلُّ على كثرتهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]، و(كم): هنا خبريَّة، معناها التكثير، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السَّابقة.

---

(١) مجموع الفتاوى، (٧/ ٣١٣).

(٢) مجموع الفتاوى، المصدر السَّابق، (١٩/ ١٨٠).

وقد وَرَدَ ذِكْر خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وهم: آدم أبو البشر، ونوح شيخ المرسلين، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل بن إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان بن داود، وأيوب، ويونس، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، وزكريَّا، ويحيى بن زكريَّا، وعيسى، ومحمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن هؤلاء الخمسة والعشرين أربعة من العرب، هم: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد صلّى الله عليهم أجمعين، وقد وَرَدَتْ في بعض الأحاديث الضعيفة أعدادُ المرسلين، وهي أحاديث لا تقوم بها حُجَّة، ولا ينبغي لأهل العلم والإيمان أن يشغلوا النَّاسَ، ويضيِّعوا أوقاتهم بها.

وقد اختلف في ذو القرنين، وتُبّع، والخضر، هل هم أنبياء أم لا؟

فذهب طائفةٌ من أهل العلم إلى أنَّ ذا القرنين نبي من الأنبياء وكذلك تُبَّع، والأَولى أن يتوقَّف في إثبات النُّبوَّة لهما، لما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ما أدري تُبَّع نبي أم لا؟ وما أدري ذا القرنين نبيّ كان أم لا[1].

وأمَّا الخضر، فقد رجَّح الشيخُ الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله أنَّه نبيٌّ، لقوله تعالى في آخر قصته: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ﴾ [الكهف: ٨٢] أي: أنَّه قد أوحى إليه فيه[2].

٦ ـ التفاضل بين الأنبياء والرُّسل:

أخبر القرآنُ الكريمُ أنَّ الله فضَّل بعضَ الرُّسل على بعض، فقال:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، (١/ ٣٦)، وصحّحه على شرط الشيخين.

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٤٠٢).

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. والتفضيلُ راجعٌ إلى اختيار الله تعالى، بمزايا وهبها الله لنبيِّه، أو لأمَّته، أو لرسالته.

وأفضلُ الرُّسل على الإطلاق هم أولو العزم، وأفضل أولو العزم هو رسولُنا محمد ﷺ، إذ أنَّه جمع كلَّ ما تفرَّق في الرُّسل السَّابقين ورسالاتهم من مزايا ومحاسن وكمالات، فهو أفضلُ المرسلين وسيِّدهم، ورسالته أكمل الرسالات وأعمُّها وأشملها، وأمَّته خير أمَّة أُخرجت للناس، ودينه هو الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقومَ السَّاعة.

وأفضلُ أولي العزم بعد رسولنا محمد ﷺ، هو أبونا إبراهيم عليه السلام، واختلف في ترتيب الثلاثة الباقين بعدهما(١).

٧ ـ أولو العزم من الرُّسل:

العزم: القوَّة في الدين، والإمامة في الصَّبر، والتقوى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وإن الرَّاجحَ هو أن أولي العزم من الرُّسل خمسة، هم: نبيُّنا محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام. وقد خصَّهم الله بالذِّكْر في كتابه في بعض المواضع:

ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

ـ وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وفي الآيتين دليلٌ على أنَّ هؤلاء الخمسة هم أولو العزم؛ لأنَّ الله

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، المصدر السَّابق، (٨/ ٤٠٢).

تعالى ذَكَر الأنبياء، ثمَّ عطف عليهم هذه المجموعة، وعطف الخاصِّ على العام يفيد أنَّ للخاص زيادةً في الفضل.

وخاطب الله تعالى نبيَّه محمَّداً بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أمَّا سببُ تسميتهم بذلك، فلما تميَّزوا به من الهمَّة العظيمة في الدَّعوة إلى الله، والصبر على ما نالهم من الأذى الشديد في سبيل الله، والثبات في مواجهة الباطل، والقوَّة في الحقِّ.

قال ابنُ عبَّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: «ذوو الحزم والصبر»، وقال الضَّحَّاك: «ذوو الجِدِّ والصبر»[(١)].

وقد أثنى الله على أولي العزم من الرُّسل لما فيهم من جميل الخِلال، وعِظَم الصفات، كما قال تعالى عن نبيِّه نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢١].

وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥]. والخُلَّةُ: هي كمال المحبَّة.

وقال عن نبيِّه عيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وخاطب خاتم رسله محمّداً ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ٢٠٠٧م، (٤/ ٢٠٧).

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١][(١)].

٨ ـ حكمة إرسال الرُّسل عامَّة:

من حكمة الله تعالى في إرسال الرُّسل، هو أنَّ الخَلْقَ بحاجةٍ إلى الرُّسل ليُبلِّغوهم ما يُحبُّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلُّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عليهم السلام، فكيف يكون الحالُ لو لم يُرسل الله تعالى رُسُلاً مبشِّرين ومنذرين.

فالرُّسلُ بُعثوا يُهذِّبون العباد، ويُخرجُونهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ويُحرِّرونهم من رِقّ عبوديَّة المخلوق إلى حرِّية عبادة ربِّ العالمين؛ الذي أوجدهم من العدم، وسيفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء، حتى يكونوا إمَّا أشقياء وإمَّا سُعداء.

ولو تُرك النَّاسُ هَملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشةً ضنكاً؛ في جاهليَّة جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة، وأصبحت الحياةُ مجتمعَ غاب، حيث القويُّ فيهم يأكلُ الضعيف، والشريفُ فيهم يُذلُّ الوضيع، وهكذا اقتضت حكمته جلَّ وعلا ألا يخلق عباده سُدى، ولا يتركهم هَملاً، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؟!

ومن رحمته جلَّ وعلا بهم، أنْ منَّ عليهم، فبعث رُسُلاً مبشِّرين ومنذرين يتلُون عليهم آيات ربِّهم، ويعلِّمونهم ما يصلحهم، ويُرشدونهم إلى مصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين[(٢)].

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٤٠٤).

(٢) نوح والطوفان العظيم، ص٨١.

أ ـ قَطْعُ المعاذير في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ب ـ إزاحةُ الغفلة والإعداد للهداية:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

ج ـ رفع الاختلاف وَرَدُّ النَّاس إلى أصول يتَّفقون عليها:

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

د ـ إقامةُ القسط بين النَّاس:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهدفُ الرُّسل والرسالات السماويَّة كلُّها: إقامةُ العدل بين النَّاس، وليس المراد إقامة التعادل والتوازن بين بعضهم البعض فقط، بل بين القيم بعضها وبعض، والفضائل بعضها وبعض، والحقوق بعضها وبعض، فلا ينبغي أن يطغى حقٌّ على واجب، ولا أن يطغى رجل على امرأة، ولا أن يطغى حاكم على محكوم، ولا أن يطغى الفردُ على المجتمع، والمجتمع على الفرد، أو أن تطغى المعاني الرُّوحيَّة على المعاني المادِّيَّة، أو المادِّيَّة على الرُّوحيَّة، إنَّه التوازن، إنَّه العدلُ الذي جاء به الرُّسلُ جميعاً: ﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ

﴿ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨ ـ ٩]. لا طغيان، ولا إخسار، ولا تطفيف، ولا إفراط، ولا تفريط[١].

هـ ـ الأُسوة الحَسَنة:

إنَّ مهمَّة الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم هي الدَّعوةُ إلى الله، وإلى الحقِّ والخير، وتحويل هذه الدَّعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتدي النَّاس بهم.

ـ قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ـ وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

هذه أهمُّ المهمَّات التي يقوم بها الرُّسلُ عليهم السلام في هداية النَّاس إلى الحقِّ والخير، وتحذيرهم من الباطل والشَّرِّ، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦][٢].

٩ ـ وظائف الرُّسل:

إنَّ الرُّسل عليهم الصلاة والسلام لهم غاياتٌ عظمى، ووظائفُ كبرى، وأهدافٌ سامية، أُجْمِلُ بعضَها في النقاط التالية:

ـ تبليغ الشريعة الربَّانيَّة إلى النَّاس.

ـ تبيين ما أُنزل من الدين.

ـ دلالة الأمم على الخير، وتبشيرهم بالثواب المعدِّ إلى ما فعلوه، وتحذيرهم من الشَّرِّ وإنذارهم بالعقاب المعدِّ إن اقترفوه.

ـ إصلاح النَّاس بالقُدْوَة الطيِّبة، والأسوة الحَسَنة في الأقوال والأعمال.

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٤٠٩).

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة، (٨/ ٤٠٩).

ـ إقامة شَرْع الله بين العباد وتطبيقه.

ـ شهادة الرُّسل على أممهم يوم القيامة أنهم قد بلَّغوهم البلاغَ المبين.

فهذه بعضُ وظائف المرسلين التي تزيدهم شرفاً إلى شرفهم، وفضلاً إلى فضلهم، ويكفيهم فخراً أنَّهم يُبلِّغون عن ربِّ العالمين، فسبحان من خصَّهم بهذه الرتبة العليَّة، ومنحهم هذه الوظيفة السنيَّة، واصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده، ليقوموا بهذه الخدمة المرضية[١]، ويمكن التوسُّع في وظائف الرسل بالرجُوع إلى كتابي (نوح عليه السلام والطوفان العظيم).

١٠ ـ أمور تفرَّد بها الأنبياء:

أ ـ الوحي:

خصَّ الله الأنبياءَ دون سائر البشر بوحيه إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا الوحي يقتضي عدَّة أمور، وهم يخالفون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله بعضهم، واتصالهم ببعض الملائكة، وتعريف الله لهم شيئاً من الغيب، يقول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ومن ذلك الإسراء بالرسول ﷺ إلى البيت المقدس، والعروج به إلى السموات العُلا، ورؤيته الملائكة والأنبياء، واطِّلاعه على الجنَّة والنار، ومن ذلك رؤيته للمعذَّبين في قبورهم، وسماعه تعذيبهم، وفي الحديث: «لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذابَ القبر»[٢].

---

(١) النبوات، ابن تيمية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٦م، (١/ ٢٨ ـ ٢٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة (٤/ ٢٠٠)، رقم (٢٨٦٨).

ب ـ الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

إنَّ ممَّا اختصَّهم الله به أنَّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام، فعن أنس رضي الله عنه في حديث الإسراء: «والنبيُّ نائمةٌ عينه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»(١).

وهذا وإنْ كان من قول أنس إلا أنَّ مثله لا يُقال من قبل الرأي، كما يقول ابنُ حجر(٢)، وقال ﷺ: «تنام عيني ولا ينام قلبي»(٣).

ج ـ الأنبياء لا يورِّثون:

ممَّا اختصَّ الله به الأنبياء أنَّهم لا يورِّثون، بل ما تركوه من الأموال يكون صدقةً من بعدهم، فعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا نُورِّث، ما تركْناه صدقة»(٤).

والحكمةُ من ذلك: أنَّ الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورِّثوا دَيناً، لئلَّا يكون ذلك شبهةً لمن يقدح في نبوَّتهم بأنَّهم طلبوا الدنيا، وخلَّفوها لورَثَتهم(٥).

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، فالمرادُ بهذا الإرث: العلم والنُّبوَّة والملك، وليس المراد وراثة المالك؛ لأنَّه قد كان له بنون غيره، فما كان ليُخصَّ بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في الصِّحاح من غير وجهٍ، عن جماعة من الصَّحابة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا نُورِّثُ، ما تركْناه فهو صدقة».

---

(١) صحيح البخاري، رقم (٣٥٧٠).
(٢) فتح الباري، (٦/ ٦٧٠).
(٣) فتح الباري، (/ ٦٧٠)، رقم (٣٥٦٩).
(٤) صحيح البخاري، رقم (٦٧٣٠).
(٥) منهاج السنة، ابن تيمية، ٢٠١٩م، (٤/ ١٩٥).

وفي لفظ: «إنَّا معاشر الأنبياء لا نورِّث»، فأخبر الصَّادقُ المصدوقُ أنَّ الأنبياء لا تورِّث أموالهم عنهم كما يورِّث غيرهم، بل تكون أموالُهم صدقةً من بعدهم على الفقراء والمحاويج، لا يخصُّون بها أقرباءهم؛ لأنَّ الدنيا كانت أهونَ عليهم وأحقرَ عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم، واصطفاهم، وفضَّلهم[١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦]، ليس المرادُ به إرثَ المال، إنَّما إرث العلم والنُّبوَّة، وفي الحديث: «وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر»[٢].

د ـ تخيير الإنسان عند الموت:

ممَّا تفرَّد به الأنبياء أنَّهم يُخَيَّرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ: «ما من نبيٍّ يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قُبِض فيه أخذته بحَّة شديدة، فسمعته يقول: «﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]»، فعلمت أنَّه خُيِّر[٣].

هـ ـ لا تأكل الأرض أجسادهم:

ومِنْ إكرام الله لأنبيائه ورسله، أنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادُهم محفوظة من البِلى، وفي الحديث: «إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء»[٤].

---

(١) البداية والنهاية، (٢/ ١٧).

(٢) العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، ص٤٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم (٤٥٨٦).

(٤) سُنَن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عزة الدعاس، دار الحديث، حمص، سورية، ط١، ١٣٨٨هـ، رقم (١٠٤٧).

و ـ العِصمة:

العِصمة من الأمور التي خصَّ الله تعالى بها أنبياءه ورسله عليهم السلام دون سائر البشر، وقد عَرَّفها الرَّاغبُ الأصفهانيُّ في المفردات، فقال: حِفظه إيَّاهم أوّلاً بما خصَّهم به من صفاء الجوهر، ثمَّ بما أولاهم من الفضائل الجسميَّة والنفسيَّة، ثمَّ بالنصرة، وتثبيت أقدامهم، ثمَّ بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق(١).

وقد أخذ الحافظُ ابن حجر تعريفَ الرَّاغب بشيء من التصرُّف فقال في الفتح: وعصمة الأنبياء على نبيِّنا وعليهم الصلاة والسلام حِفْظُهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسيَّة، والنصرة، والثبات في الأمور، وإنزال السكينة(٢).

ومن خلال معرفة الرسالة، والنُّبوَّة، وصفات الأنبياء والمرسَلين، والحكمة من إرسالهم، ووظائفهم، وما تفرَّدوا به، نتعرَّف على صفات أيُّوب عليه السلام أكثر، والحكمة من إرساله، والوظائف التي قام بها، وما تفرَّد به.

١١ ـ وفاة أيُّوب عليه السلام:

ذكر ابنُ جرير وغيره من علماء التاريخ: أنَّ أيُّوب عليه السلام لمَّا تُوفِّي كان عمره ثلاثاً وتسعين سنة(٣). وقيل: إنَّه عاش أكثر من ذلك، وقد روى ليثٌ عن مجاهد ما معناه: أنَّ الله يحتجُّ يوم القيامة بسليمان عليه

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٣٧.
(٢) فتح الباري، (١١/ ٥١).
(٣) تاريخ الطبري، (١/ ٣٠٧).

السلام على الأغنياء، وبيوسف عليه السلام على الأرقَّاء، وبأيُّوب عليه السلام على أهل البلاء[١]، رواه ابن عساكر بمعناه[٢].

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

(١) البداية والنهاية، (١/ ٣٢٠).

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، ٢٠٠٦م، (١٠/ ٨٢).

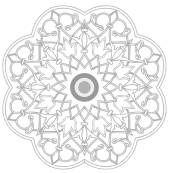

الخلاصة

بعد أن استعرضنا قصةَ نبيِّ الله أيوب عليه السلام كما وَرَدَتْ في كتاب الله العزيز، وما تمَّ بيانه في التفاسير والمصادر الموثوقة، يتَّضح جليًّا أن حياته كانت مثالًا حيًّا على الصَّبْر والثبات على الحق، ليس فقط في مواجهة البلاء الشديد الذي أصابه في جسده وأهله وماله، بل أيضًا في استمراره بالدَّعوة إلى التوحيد، والإيمان بالله عز وجل. فقد كان أيوب عليه السلام من النبيين الذين جعلوا من دعوةِ الناس إلى عبادة الله وحده هدفًا أسمى من كلِّ الأهداف، رغم ما عاناه من مصاعب وإعراض، وبقي ثابتًا على الحق، صابرًا محتسبًا، راضيًا بقضاء الله وقدره.

وكان صَبْره نموذجًا يُحْتذى به في التوكل على الله، والثقة به، حتى جاءت رحمةُ الله في الوقت المناسب، مكافئةً له على إيمانه.

ومن خلال تلك القصة العظيمة يتَّضح لنا أنَّ الابتلاء ليس دليلًا على غضب الله، بل قد يكون اختبارًا للإيمان والصبر، ومِن ثَمَّ يمكن أن نخلصَ إلى النتائج الآتية:

١ ـ من المعروف أن قصةَ أيوب عليه السلام قد دخلها الكثيرُ من الإسرائيليات والأخبار الواهية التي تزعمُ تفاصيل ومضامين لا تليقُ بنبيِّ الله أيوب، ولا يرضاها الله سبحانه وتعالى لنبيه. هذه الأخبارُ تسللتْ إلى العديد من المصادر، حتى تلك التي يُعتمدُ عليها في قصص الأنبياء، مثل بعضِ كتب التفسير والحديث والتاريخ الإسلامي.

٢ ـ يعود نسب أيوب إلى إبراهيم عليه السلام، وقد ذكر القرآنُ هذا النَّسَبَ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

٣ ـ اتفق العلماءُ والمؤرِّخون على أن مقامَ أيوب عليه السلام كان في الشَّام، إلا أنهم اختلفوا في تحديد الموقع بدقة؛ فمنهم من قال إنه كان بدمشق وما حولها، ومنهم من قال إنه في سَهْل حوران جنوب دمشق، ومنهم من ذكر أنه كان بآدوم جنوب البحر الميت، فيما ذهب آخرون إلى أماكن أخرى.

٤ ـ كان نبيُّ الله أيوب عليه السلام نموذجًا فريدًا في الصَّبْر والثبات على الإيمان، خاصة في دعوته إلى توحيد الله ونَبْذ الشرك. ورغم أن القرآن الكريم لم يُورِدْ تفاصيلَ كثيرة عن قومه أو أسلوب دعوته، إلا أن التفاسير والمصادر الموثوقة تشيرُ إلى أنه عاش في بلاد الشَّام أو أرض حوران، وكان رجلًا صالحًا يدعو الناسَ إلى الإيمان بالله وحده.

٥ ـ لم يكنْ مرضُ سيدنا أيوب عليه السلام منفِّرًا كما زعمت بعضُ الروايات، ولم يخرج منه الدُّودُ، ولم يكن الدُّود يأكل من جسده، كما لم تصدر منه روائح كريهة دفعت الناس إلى رميه في المزابل؛ فهذه من الأكاذيب والأباطيل والبهتان المبين.

٦ ـ إنَّ القصصَ الواهيةَ والأخبارَ الكاذبة حول أيوب عليه السلام ومحنته مرفوضة عند العلماء العقلاء والمحققين وأهل العلم، وكذلك عند الباحثين عن الحقائق الجادِّين وأهل البصائر الأنقياء. ويجب ألا يُلتفت إليها، أو يُصغى لها، بل تزدادُ استنكارًا من الناس.

٧ ـ لم تُحدد مدة البلاء والمرض الذي تعرضُ له أيوب عليه السلام،

فقد تركها القرآنُ الكريم مبهمةً، ولم تأتِ أحاديثُ نبوية صحيحة تحدِّد هذه المدة أو نوع المرض الذي أصابه.

٨ ـ نسبت بعضُ الروايات الإسرائيلية إلى نبي الله أيوب عليه السلام أفعالًا وأقوالًا تدلُّ على الجزع، وعدم الصَّبْر على البلاء، وهو ما يتنافى مع منصب النبوة، ووَصْف القرآن له بالصبر والثبات.

٩ ـ نقل بعضُ المفسرين روايات عجيبة وغريبة عن طبيعة المرض الذي أصاب أيوب عليه السلام، وكلُّها من الإسرائيليات التي لا نقبلها؛ لأنها تنافي ما ثبتَ عن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

١٠ ـ رأى بعضُ العلماء أن الابتلاء الذي أصاب أيوب عليه السلام على الوجه الذي ذكره المفسرون وعلماء التاريخ من مرض منفِّر كان قبل النبوة. وأن منحةَ النبوة كانت لما ظهر منه من الصَّبْر والرضا على ما أصابه من مكروه.

١١ ـ لا يوجد حُجَّة ولا دليلٌ من القرآن الكريم، أو السُّنَّة الصَّحيحة يحدِّد نوع المرض؛ الذي ابتُلي به أيوب عليه السلام في بدنه.

١٢ ـ ليس للشيطان سلطانٌ على أيوب عليه السلام في الحقيقة، وإنَّما الله هو الذي ابتلاه بالنصب في بدنه والعذاب في ماله، لكنه لم ينسبْ ذلك إلى الله أدبًا في مخاطبته ونسبة الأمور السيئة إليه.

١٣ ـ لم يكنْ للشيطان تأثيرٌ على أيوب عليه السلام ليُنزِل به مرضًا أو سقمًا، فهذا مستحيل؛ لأن هذا من قَدَر الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

١٤ ـ المؤمنُ الفردُ، في أي أرض، وأي جيل، قويٌّ وقوي، وكبيرٌ وكبير، فهو من تلك الشجرة المتينة، السَّامقة، الضَّاربة جذورها في أعماق

الفطرة البشرية، وفي أعماق التاريخ الإنساني، وعضو في ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهُدَاه منذ أقدم العصور.

١٥ ـ نتعلَّم من قصة أيوب عليه السلام أنه كلما عرف العبدُ ربَّه بأسمائه وصفاته، أثَّر ذلك في دعائه، وقوة رجائه، ولجوئه وتضرُّعه لربِّه سبحانه، وثقته بكفايته، وقدرته على قضاء حوائج عباده.

١٦ ـ كان أيوب عليه السلام يدعو قومَهُ إلى الاعتراف بقدرة الله وتدبيره الحكيم، مستندًا إلى تجربته الشخصية التي أثبتتْ أن الابتلاء جزءٌ من الحياة، وأن الصَّبْرَ على الابتلاء يرفع من مقام الإنسان عند الله. وكما جاء في سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وهذا النداء الخاشعُ يبرز إيمانه العميق، ورجاءه الدائم في رحمة الله.

١٧ ـ من أخصِّ صفات الربِّ عز وجل الرحمة والرأفة بعباده، وهي من موجبات ربوبيَّته. ومن مظاهر ذلك تربيته لعباده، وإنعامه عليهم، وإرساله الرُّسل إليهم، وإنذارهم وتبشيرهم، وهذه كلها من لوازم التربية العامَّة.

١٨ ـ عندما نتأملُ في دعاء أيوب عليه السلام لربِّه، نجد أنه كان في غاية الأدبِ مع الله، والرضا بقضائه، والرغبة في كشف الابتلاء، إذ قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

١٩ ـ صورةُ التضرع والالتجاء إلى الله هي صورةٌ من صور الأدب العالي مع الخالق تبارك وتعالى في الدُّعاء. ولا شكَّ في أن أيوب عليه السلام عندما توجَّه إلى الله بهذا النداء كان في أشدِّ حالات الاضطرار.

٢٠ ـ أيوب عليه السلام في أدبه الرفيع أثناء تضرُّعه ودعائه، يعلِّمنا من خلال سيرته وسلوكه وصَبْره واحتسابه كيف نتعاملُ مع الله في الدُّعاء

والاستغاثة، والتوكل عليه سبحانه وتعالى، فهو لم يزدْ في دعائه على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

٢١ ـ الضَّراعة إلى الله مطلوبة، والدُّعاء مَشْروع، بل هو عنوانُ العبوديَّة والافتقار إلى الله.

٢٢ ـ كان أيوب عليه السلام لطيفاً في سؤاله، حيث أشار إلى نفسه بما يوجبُ الرحمة، وذكر ربَّه بغاية الرحمة، ولم يصرِّح بالمطلوب، بل اكتفى بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

٢٣ ـ لم يذكر أيوب عليه السلام في دعائه لربِّه تفاصيلَ ما أصابه، لعلم الله بحاله، فجعل كلامه إشارة، وقلَّل من شأن ما أصابه بذِكْرِه مجرد «المس»: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

٢٣ ـ دعا أيوب عليه السلام ربَّه حال محنته واستغاثته بأحد الأسماء المناسبة للمقام الذي كان فيه، إذ مسَّه الضُّرُّ والعذاب، فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، ومن أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى «الرحمن» و«الرحيم»، وهما مشتقَّان من الرحمة التي تعني الرقة، والعطف، والحنو.

٢٤ ـ استجابة الله لدعاء عباده سُنَّة ثابتة، وعبادة عظيمة، وقد قام بها أيوب عليه السلام على أكمل وجه، مبينًا فقره المطلق إلى الله عز وجل في كلِّ أحواله.

٢٥ ـ المؤمنُ بالله إيماناً حقيقياً يعلم أنَّه فقير إلى الله فقراً مطلقاً في كلِّ الأحوال، راضياً بقضاء الله وقَدَره في كلِّ الظروف والأزمات. وهكذا يعلِّمنا أيوب عليه السلام في دعائه لربه وتضرُّعه إليه في أشدِّ الأزمات التي مرَّ بها: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٢٦ ـ جمع أيوب عليه السلام في هذا الدُّعاء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربِّه، ووجود

طعم المحبة في التملُّق له عز وجل، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنَّه أرحمُ الرَّاحمين. كما تَوَسَّل إليه بصفاته سبحانه، ومتى وجد المبتلى هذا كُشِفَ عنه بلواه.

٢٧ ـ ابتُلي أيوب عليه السلام في نفسه، وولده، وماله؛ فابتُلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال امتحاناً منه، واختباراً له. ثمَّ كُشف عنه ما به من ضُرّ، فشُفيَ من أمراضه التي أُصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحَسُنَ حاله في ماله. ولم يُصرِّح القرآنُ الكريمُ بما صار إليه من سعةٍ في المال، كما صرَّح بما صار إليه أمره من كثرة الأولاد.

٢٨ ـ مَنْ أراد أن يعبُدَ الله حقَّ عبادته مهما كانت ظروفه، فقصةُ أيوب عليه السلام تساعده وتسعفه، وتقدِّم له المثلَ الأفضلَ والأحسن، والنموذج الذي يُحتذى. فالعابدون أحوجُ الناس إلى أن تكونَ بين أيديهم أمثلةٌ للصبر، والاحتساب، والشكر، والاقتراب من الله جلَّ شأنه.

٢٩ ـ الأنبياء أشدُّ الناس بلاء، قال رسول الله ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الصَّالحون، ثمَّ الأمثل فالأمثل. يُبتلى المرءُ على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة؛ شُدِّد عليه في البلاء». وقصة أيوب عليه السلام مثالٌ عملي، وشاهدٌ حقيقي على هذا الحديث الشريف.

٣٠ ـ تُخبرنا قصةُ أيوب عليه السلام أن ظروفَ الحياة هي ظروف ابتلاء وامتحان للجميع. فالرسلُ عليهم السلام مبتلون، وأقوامهم مبتلون، والمؤمنون مبتلون، والكافرون مبتلون. وأنواع الابتلاء مختلفة، منها ابتلاء بالتكاليف، ومنها ابتلاء بالنِّعم، ومنها ابتلاء بالنِّقم والمصائب، ومنها ابتلاء الناس بعضهم ببعض.

٣١ ـ مرَّ أيوب عليه السلام بسُنَّة الابتلاء بنجاح، وكان ابتلاؤه عليه

السلام في أولاده وأمواله، فهلكت جميعها من إبل وبقر وغنم وزروع وثمار وغيرها.

٣٢ ـ يُؤخذ من ابتلاء الله لأيوب وصَبْره على محنته التي أصابته دروسٌ في غاية الأهمية والخطورة؛ وهو أهميةُ الصَّبْر على البلاء، والرضا بأمر الله، وعدم السّخط به، لنيل رضا الله تعالى، والفوز برحمته.

٣٣ ـ إنَّ نسبةَ أيوب عليه السلام إيقاع الضُّرِّ به إلى الشَّيطان، بقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾، حيث فعل هذا أدباً مع الله. وإلَّا فإنَّ الضُّرَّ والنصب قد أصابه بأمر الله وقدره سبحانه، ابتلاءً واختباراً له عليه السلام.

٣٤ ـ المرضُ الذي أصاب سيدنا أيوب عليه السلام يبدو أنَّه كان مرضاً جلدياً يتركُ على بشرته بُثُوراً تشوِّه جلده. والآن نرى الأطباءَ الذين يعالجون الأمراض الجلدية يعالجونها بالمراهم الظَّاهرية التي تعالجُ ظاهرَ المرض، لكن لا تتغلغلُ إلى علاج سبب المرض الداخلي، فكان من رحمة الله بسيدنا أيوب عليه السلام أن جعل شفاءه الظاهري والباطني في ركضة واحدة، حيث قال: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾، فيغتسل منه مُغتسلاً بارداً، فيشفى ظاهر مرضه، وشراب يشفي أسبابَ المرض في داخل جسمه.

٣٥ ـ ما جاء في خبر شفاء أيوب عليه السلام أن امرأته كانت غائبةً عنه لقضاء حوائجه من طعام وشراب وأدوات للعناية به. فعندما رجعت ورأته، لم تعرفه لما فيه من قوَّة ونشاط وحيوية وصحة وعافية. فقالت: «بارك الله فيك، هل رأيت نبيَّ الله هذا المبتلى؟ فوالله ما رأيتُ أحداً أشبه به منك إذا كان صحيحاً!» فقال: «فإنِّي أنا هو» فلا شكَّ في أنَّها أجهشتْ في البكاء من شدَّة الفرح، وحمدت الله عز وجل، وشكرته على شفاء زوجها الحبيب العزيز.

٣٦ ـ إن قصَّة أيوب عليه السلام هي قصَّة الإيمان الكامل، والصبر

الجميل، وهي ترينا أنَّ الصَّبْر على الشَّدائد يصفِّي النفوس، ويرفع الدرجات، ويُعْلي قدرَ الإنسان بين الناس، فيصبح أمامهم قائداً وقدوة، ثمَّ يكون له من الله خير العِوَض في الدنيا، وله بعد ذلك في الآخرة الجزاء الأوفى.

٣٧ ـ تُفيد قصة أيوب عليه السلام بأنَّ الصَّبْر صفةٌ ومنقبة ممدوحة عند الله تبارك وتعالى، والجزع والفزع والاضطراب وعدم الصَّبْر على الطَّاعة والكفّ عن المعاصي والشهوات المحرَّمة صفة مذمومة وقبيحة ينبغي أن يُقلعَ عنها كل مؤمن.

٣٨ ـ تُرشدنا قصةُ أيوب عليه السلام إلى أهميَّة الدُّعاء. فقد ابتُلي أيوب عليه السلام ابتلاءً شديداً فصبر، ثمَّ اتَّجه إلى الله تعالى بالدُّعاء تضرُّعاً وتذلُّلاً، وتعبداً ورجاءً، حتى حقق الله رجاءه وطلبه، واستجاب دعاءه، وأعطاه الله أكثر مما طلب، وعوَّض عما سبق.

٣٩ ـ يُعلِّمنا أيوب عليه السلام ألا تعارُضَ بين الصَّبْر والدُّعاء، فالدُّعاء لا ينافي الصبر. والذي ينافي الصَّبْر هو الشكوى إلى الخَلْق، أما الذي يشتكي إلى الله فهو الصَّابر المحتسب. وأيوب لم يشتكِ إلى الخلق، بل لجأ إلى الله سبحانه وتعالى، وأيوب كان داعياً، ولم يكن شاكياً.

٤٠ ـ إنَّ أيوب عليه السلام كان محبَّاً لربِّه، ومحتاجاً إليه، متذلِّلاً له. والقيمة التربويَّة من دعاء أيوب عليه السلام هي أنَّ العابد يجبُ أن يكونَ مطَّلعاً على الله عز وجل، وممتثلاً لأمره من أجل تحقيق العبودية لله عز وجل، وذلك من خلال محبَّته لله، وتحقيقه للتقوى والإيمان. وينتجُ عن ذلك انشراحٌ للصدر، وتفريجٌ للهمِّ، وسعة في الحياة، وراحة بالٍ.

٤١ ـ من شروط الدُّعاء أن يكونَ العبدُ عالماً بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله سبحانه وتعالى، وأن مَنْ عداه في قبضته ومسخَّر بتسخيره عز وجل، فلا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله عز وجل.

٤٢ ـ إنَّ الدُّعاء من أنواع العبادات، وعنوان من عناوين العبوديَّة لله عز وجل. كما أنَّ الدعاء والاستجابة كلٌّ ذلك فضلٌ من الله تعالى بأن يسمحَ لك بندائه، ورفع حاجتك إليه في كل شأن وفي كل حين. كما أن الأنبياءَ أسوةٌ للعابدين في أمورهم كلّها، وفي الدعاء.

٤٣ ـ كان أيوب عليه السلام صادق العبوديَّة لله، ولذلك أثنى الله عليه حيث وصفه بالعبوديَّة. وجاء ذلك في بداية الآيات: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾، وفي آخر الآيات: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

٤٤ ـ الدعاءُ هو ملجأ المضطرِّين، وهو مظهرُ العبوديَّة التي في القلب لله ربِّ العالمين. وكان النِّداء لربِّه مبلغَ جهد أيوب عليه السلام، فرفع كفَّ الضَّراعة، وكان على يقين من الإجابة. ولذلك ما أتمَّ دعاءه حتى استجاب الله له، وكشف عنه الضُّرَّ، وعافاه في جسده، وَرَدَّ إليه أهله وماله، ومدحه وأثنى عليه. فذهب الألم وبقي الأجر والمثوبة.

٤٥ ـ إنَّ من سُنَن الله في كونه وشرعه تحتِّمُ علينا الأخذ بالأسباب، كما فعل ذلك أقوى الناس إيماناً بقضائه وقدره، وهو رسولُ الله ﷺ. لقد قاوم الفقرَ بالعمل، وقاوم الجهلَ بالعلم، وقاوم المرضَ بالعلاج، وقاوم الكفرَ والمعاصي بالجهاد. وكان يستعيذُ بالله من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، وتعاطي أسباب الأكل والشرب، وادَّخر لأهله قوت سنة، ولم ينتظر أن ينزلَ عليه الرزق من السماء.

٤٦ ـ لا يحكم على الإنسان بالشَّره وحب الدنيا بمجرد أخذه لها وإقباله عليها، بل ذلك يختلف باختلاف المقاصد. وإنَّما الأعمالُ بالنيات، وهكذا يوجِّه الحديث الذي أنزل الله فيه ذهباً من السَّماء على أيوب، فجعل يحثو في ثوبه، وقال لله تعالى: «لا غِنى لي عن بركتك».

٤٧ ـ إذا رأى المؤمنُ فَضْلَ الله نازلاً عليه، فلا يقطع تناوله ما دام

نازلاً، ويكون ناوياً بذلك أن لا يشبع من رحمة الله، كما قال أيوب في الحديث: «لا غِنى لي عن بركتك»، فإن الله سبحانه لا يحبُّ من عبده أن يردَّ عليه فضله.

٤٨ ـ من صفات أولي الألباب أنهم يتعظون، ويعتبرون من قصص الأمم السَّابقة وأحوالهم من أنبيائهم ورسله، ويحيلونها إلى تجارب ودروس يستفيدون منها. فهم يتفكَّرون ويتدبَّرون ويتذكَّرون، وذلك هو العقلُ العامل الخالص من الشَّوائب.

٤٩ ـ كانت امرأةُ أيوب عليه السلام مثالاً للمرأة الصَّالحة المخلصة لزوجها، فإنها لم تتخلَّ عنه سنوات محنته، وكانت تخدمه وتعاونه في شؤونه، وتحمَّلتْ مرضه، وأحسنت إليه.

٥٠ ـ إنَّ ذكر قصَّة أيوب عليه السلام في القرآن الكريم، وثناء الله عليه، جعلته يشتهرُ عند الخاصَّة والعامة بالصبر الجميل. ولا يضارعه أحدٌ من بني آدم، ولن يوجدَ صابر مثله في قابل الأيام حتى ضُرِبَ به المثلُ في الصَّبر، فيُقال: صبر كصبر أيوب، فأيوب إمام الصَّابرين.

٥١ ـ إنَّ أيُّوب عليه السلام مدرسةٌ كبيرة في تعلُّم الصبر، والتدرُّب عليه، وتعليمه لأولادنا وأُسَرنا ومجتمعاتنا وشعوبنا، حتَّى نعتاده ويعتادوه.

٥٢ ـ إنَّ من القيم العظيمة التي اهتمَّ بها القرآنُ الكريم قيمة الصبر، فهو من أبرز الأخلاق القرآنيَّة التي عُني بها الذِّكْر الحكيم في سوره المكيَّة والمدنيَّة، وهو أكثر خُلُقٍ تكرَّر في القرآن الكريم.

٥٣ ـ بيَّن القرآنُ الكريم منزلة الصَّبْر والصابرين، فالصبرُ مقام من أرفع مقامات الدين، وخُلُق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجلِّ منازل الصَّالحين، وشعبة من أبرز شُعَب الإيمان، وعروة من أوثق عرا الإسلام. حتَّى إنَّ القرآنَ الكريم جعله مفتاح كلِّ خير، وباب كلِّ سعادة في الدنيا والآخرة.

٥٤ ـ أخلص أيُّوب عليه السلام في تحقيق عبوديَّته لله عز وجل في أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة، وكان من أكمل العباد تحقيقاً للعبوديَّة. فعبادُ الله يرتقون في درجات العبوديَّة بحسب إخلاصهم فيها، وسعيهم في تحقيقها، وأهل الكمال في ذلك سبقتْ لهم من الله الحسنى يتبوَّءون منها أرفعها، بما يزدادونه من معرفة ربِّهم، وإقبالهم على مرضاته.

٥٥ ـ إنَّ الأنبياء والمرسلين عرفوا الله بالوحي، والفِطْرة السليمة، والعقل الرَّاجح حقّ المعرفة، وعبدوه حقَّ العبادة. وهم أشدُّ الناس اجتهاداً في العبادة، لما امتنَّ عليهم من معرفته، وهم دائبون على شكره، معترفون له ـ مع تمام اجتهادهم ـ بالتقصير في أداء حقِّه.

٥٦ ـ إنَّ النفس المطمئنَّة هي التي سكنت إلى الله سبحانه وتعالى واطمأنتْ في طاعته، ورضيتْ بشرعه ومنهجه، فغمرها الإيمان، فاشتاقت إلى لقائه، وركنت إليه، فهي تحبّ الخير والحسنات، وتبغض الشَّرَّ والسيئات، وتكره ذلك.

٥٧ ـ إنَّ أيُّوب عليه السلام كان متوكِّلاً على الله، ومؤمناً بقضائه وقدره، ومستسلماً له في أحكامه الشرعيَّة والقدريَّة. فلا قلق ولا اضطراب، ولا غفلة ولا إعراض عن الله، بل إقبال على الله وصبر على الطَّاعة وعن المعصية، وفي النكبة واليقين بما عنده من الجزاء، والرضا بما قدَّره الله. فأصبح مثلاً لأصحاب الابتلاء في الصَّبْر والاحتساب، وفي التضرُّع والدعاء، وفي الفَرَج والرَّخاء.

٥٨ ـ إنَّ البشريَّة اليوم تُعاني من الفقر الروحي، والقلق، والاضطراب، والضَّنك الكبير في حياتها. وأنَّ العلاجَ الوحيدَ لهذه الأمراض النفسيَّة هو الرجوع إلى دين الله ورسالته الخاتمة الإسلام.

٥٩ ـ الرسالة منحةٌ إلهيَّة يختصُّ بها من يشاء من عباده، فضلاً منه

ونِعْمة. وليست الرسالة درجةً علميَّة يمكن الحصولُ عليها بالاجتهاد أو التعبُّد أو التعلُّم، وإنَّما هي اصطفاءٌ واختيار للرسل من بين سائر الناس.

٦٠ ـ من حكمة الله تعالى في إرسال الرسل أنَّ الخلقَ بحاجة إلى الرسل ليبلِّغوهم ما يُحبُّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه. وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشَّقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عليهم السلام. فكيف يكونُ الحالُ لو لم يُرسل الله تعالى رسلاً مبشِّرين ومنذرين؟

٦١ ـ إنَّ الرسلَ بُعثوا يُهذِّبون العباد، ويُخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ويُحرِّرونهم من رِقِّ عبوديَّة المخلوق إلى حرِّية عبادة ربِّ العالمين الذي أوجدهم من العدم، وسيفنيهم بعد الوجود، وبعثهم بعد الفناء ليكونوا إمَّا أشقياء، وإمَّا سُعداء.

٦٢ ـ لو تُرك الناسُ هَملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضَنْك في جاهليَّة جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة. وأصبحت الحياةُ مجتمع غاب، القويُّ فيهم يأكل الضعيف، والشريفُ فيهم يذلُّ الوضيع. وهكذا اقتضت حكمته جلَّ وعلا ألا يخلق عباده سُدى، ولا يتركهم هَملاً.

٦٣ ـ إنَّ مهمَّة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هي الدَّعوة إلى الله، وإلى الحقِّ والخير، وتحويل هذه الدَّعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتدي الناسُ بهم.

٦٤ ـ روى ليثٌ عن مجاهد ما معناه: إنَّ الله يحتجُّ يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء، وبيوسف عليه السلام على الأرقَّاء، وبأيُّوب عليه السلام على أهل البلاء.

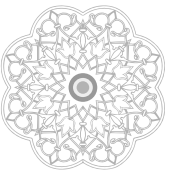

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ٢٠٠٧م.

٣ ـ أحاديث الصَّحيحين المنتقدة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنطي، مبرة الآل والأصحاب، ط١، ٢٠١٥م.

٤ ـ أحسن القصص، زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٨م.

٥ ـ أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد مختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، ١٩٩٤م.

٦ ـ إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام أبي حامد محمد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

٧ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، ٢٠١٠م.

٨ ـ أخلاق الأنبياء عليهم السلام، محمد درويش، دار الحضارة، الرياض.

٩ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ٢٠٠٧م.

١٠ ـ أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها، خالد محمد خالد، نور حوران، ط١، ٢٠١٦م.

١١ ـ الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، د. عدنان عبد الكريم، المجلس العلمي، ٢٠٢٤م.

١٢ ـ الإعجاز العلمي في سياق قصة النبي أيوب، عبد الوهاب القرشي.

١٣ ـ أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، دار المعتز.

١٤ ـ أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الحافظ، ٢٠٠٠م.

١٥ ـ أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ٢٠٠٦م.

١٦ ـ الأنبياء في القرآن قصص وعبر، هدى جعفر، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م.

١٧ ـ الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، د. علي العريبي، دار ابن حزم، ٢٠١٤م.

١٨ ـ إنه الله شرح أسماء الله الحسنى، شريف فوزي، دار اللؤلؤة، ٢٠٢١م.

١٩ ـ الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، محمد بن أحمد المقدم، دار الخلفاء الرَّاشدين، ٢٠٠٠م.

٢٠ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٨م.

٢١ ـ البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٢ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٠م، بعناية عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي، ودار المعرفة، لبنان، ط٤، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٣ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، طبعة الكويت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢٤ ـ تاريخ دمشق، أبو القاسم بن عساكر، دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٥ ـ تاريخ الأمم والملوك، تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيت الأفكار، ٢٠٠٩م.

٢٦ ـ تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد الطيب نجار، مكتبة المعارف، ١٩٨٣م.

٢٧ ـ تاريخ الأنبياء، محمود عبده نور الدين.

٢٨ ـ التحرير والتنوير، تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطَّاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٣م.

٢٩ ـ تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف الكردي، دار طيبة، الرياض، السعودية، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢١هـ.

٣٠ ـ التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الأماجد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٣١ ـ تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، حققه يوسف علي بديوي، حسن سويدان، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٣٢ ـ تفسير البغوي، معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ٢٠٠٧م.

٣٣ ـ تفسير الرَّاغب الأصفهاني، الرَّاغب الأصفهاني، دار الوطن، ٢٠٠٨م.

٣٤ ـ تفسير الزمخشري، الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٠١٣م.

٣٥ ـ تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م.

٣٦ ـ تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٢م.

٣٧ ـ تفسير القرآن بالقرآن، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م.

٣٨ ـ تفسير القرآن، تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن، ٢٠٠٨م.

٣٩ ـ تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

٤٠ ـ تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ٢٠٠٧م.

٤١ ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار النوادر، ٢٠١٣م.

٤٢ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٤٣ ـ التفسير الموضوعي، مجموعة باحثين، إشراف د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشَّارقة، الإمارات، طبعة ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٤٤ ـ تفسير سورة الأنبياء، د. أحمد نوفل.

٤٥ ـ التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبد العزيز الطريفي، مكتبة دار المنهاج، ٢٠١٧م.

٤٦ ـ الثمين في قصص الأنبياء والمرسلين، زهير علي كاخي، دار المأمون للتراث، ٢٠٠٣م.

٤٧ ـ الثناء في القرآن الكريم، هتون فلمبان، دار ابن حزم، ٢٠١٦م.

٤٨ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧م.

٤٩ ـ حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، عروة حسن طربية.

٥٠ ـ الحواس الإنسانية في القرآن الكريم، محمد طالب مدلول، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

٥١ ـ الخارطة القرآنية، مشعل الفلاحي، دار القلم، دمشق، ٢٠٢٢م.

٥٢ ـ دراسات تاريخية من القرآن، محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٥٣ ـ دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر الألمعي، دار الميمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

٥٤ ـ الدروس المستفادة من القصص القرآني، نصرة إبراهيم، دار عباد الرحمن، ودار البشير.

٥٥ ـ دعاء الأنبياء والرسل، محمد محمود أحمد، مركز الكتاب، ١٩٩٩م.

٥٦ ـ دور الأنبياء في بناء الحضارة الإنسانية، د. علي محمد سعيد.

٥٧ ـ الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ٢٠١٣م.

٥٨ ـ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصَّابوني، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٦م.

٥٩ ـ روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي الخلوتي، دار الفكر، ٢٠١٣م.

٦٠ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرَّابعة، ١٤٠٥هـ.

٦١ ـ زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.

٦٢ ـ سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ٢٠٠٦م.

٦٣ ـ سنة الله في الأخذ بالأسباب، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٦م.

٦٤ ـ سنة الله في الفتنة والابتلاء وأثرها العقدي، الزايدي الطويل، دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م.

٦٥ ـ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، دار التأصيل، ٢٠٠٦م.

٦٦ ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عزة الدعاس، دار الحديث، حمص، سورية، ط١، ١٣٨٨هـ.

٦٧ ـ السنن الاجتماعية في القرآن، د. محمد أمحزون، دار طيبة، ٢٠١١م.

٦٨ ـ سنن الترمذي، أبو جعفر الترمذي، دار التأصيل، ٢٠١٤م.

٦٩ ـ الشخصيات القرآنية، د. نزيه محمد اعلاوي، دار الصفاء، ٢٠١٩م.

٧٠ ـ شرح ابن بطال على صحيح البخاري، علي بن خلف القرطبي، مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م.

٧١ ـ شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٧٢ ـ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الحديث، ٢٠١٠م.

٧٣ ـ صبر أيوب، محمد كامل حسن، المكتب العالمي، ط١، ١٩٧٩م.

٧٤ ـ الصبر في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م.

٧٥ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٧٦ ـ صحيح البخاري، دار ابن كثير، محمد بن إسماعيل البخاري، دمشق، بيروت، الطبعة الرَّابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧٧ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

٧٨ ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن (أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس)، الدكتور عقيل حسن، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

٧٩ ـ العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، طيبة الدمشقية للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.

٨٠ ـ العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، منصور راشد التميمي، مكتبة الرشد، ٢٠١٥م.

٨١ ـ فبِهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام، عثمان الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٨٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٣ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م.

٨٤ ـ الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار علم الفوائد، ٢٠١٣م.

٨٥ ـ في صحبة الرسل الكرام، السيد عبد المقصود، دار البشير، ٢٠٠٠م.

٨٦ ـ في ظلال الأنبياء، محمد حمد الصوياني، شركة العبيكان للتعليم، ط١، ٢٠٢٢م.

٨٧ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثامنة والعشرون، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٨٨ ـ القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٠٥م.

٨٩ ـ قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد الفقي، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.

٩٠ ـ قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، ط١، ٢٠٠٦م.
٩١ ـ قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.
٩٢ ـ قصص القرآن قراءة قرآنية، عمرو الشَّاعر، مكتبة النافذة.
٩٣ ـ القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، أسامة عبد العظيم، دار الفتح، ٢٠٠٩م.
٩٤ ـ القصص القرآني، الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٩٥ ـ قصص لا تليق بالأنبياء، طارق اللحام، شركة دار المشاريع، ط٤، ٢٠٢٠م.
٩٦ ـ قوت القلوب، أبو طالب المكي، ٢٠٠٦م.
٩٧ ـ القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ابن عثيمين، دار العاصمة.
٩٨ ـ كتاب الزهد، أحمد بن حنبل، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م.
٩٩ ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٧م.
١٠٠ ـ الكليات معجم من المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م.
١٠١ ـ لسان العرب، محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
١٠٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٠٣ ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ٢٠٠٦م.
١٠٤ ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرَّازي، مكتبة لبنان، ٢٠١٧م.
١٠٥ ـ مدارج السَّالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.
١٠٦ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م.

١٠٧ ـ المستدرك على الصَّحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠٨ ـ المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م.

١٠٩ ـ مسند الإمام أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى الموصلي، ٢٠١٧م، دار التأصيل، ط١، ٢٠١٧م.

١١٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.

١١١ ـ المضامين التربوية في قصة نبي الله أيوب عليه السلام وتطبيقاتها المعاصرة، ياسر إبراهيم رشاد، جامعة اليرموك، ٢٠٢٠م.

١١٢ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٣ ـ مع الأنبياء في الدَّعوة إلى الله، د. محمد أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥م.

١١٤ ـ مع الأنبياء والرسل، عبد الحليم محمود، دار المعارف، ٢٠٠٧م.

١١٥ ـ مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، محمد عبد الحميد، دار الفكر، ٢٠٠٣م.

١١٦ ـ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، عالم الكتب، ٢٠٠٧م.

١١٧ ـ معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، محمد الغاني.

١١٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة بريل، ٢٠٢٤م.

١١٩ ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرَّازي، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٢٠ ـ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرَّازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٢١ ـ مفردات القرآن من كتاب التحرير والتنوير، فايز بن سياف السريح، دار القلم.

١٢٢ ـ المفردات في غريب القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م.

١٢٣ ـ مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، دار الأمان، الرباط.

١٢٤ ـ مقاصد سور القرآن الكريم، منذر محمد، المكتب الإسلامي، ٢٠٢١م.

١٢٥ ـ من أنباء القرى، د. أحمد الكبيسي، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٧م.

١٢٦ ـ من سُنَن الله في عباده، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، ٢٠١١م.

١٢٧ ـ المنجد في اللغة، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، ٢٠٠٩م.

١٢٨ ـ منهاج السنة، ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٢٩ ـ مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، ٢٠٠٣م.

١٣٠ ـ موسوعة الأعمال الكاملة، يوسف القرضاوي.

١٣١ ـ موسوعة التفسير بالمأثور، المشرف العلمي مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشَّاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

١٣٢ ـ الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ٢٠١٩م.

١٣٣ ـ موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد ملوح، دار الوسيلة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٣٤ ـ النبوات، ابن تيمية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٦م.

١٣٥ ـ نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم، ١٩٩٤م.

١٣٦ ـ نوح عليه السلام والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٩م.

١٣٧ ـ الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأكيولوجي، سامي العامري، ٢٠٢١م.

١٣٨ ـ وقفات في حياة الأنبياء، خالد عبد العليم، دار ابن كثير، ٢٠١٤م.

١٣٩ ـ ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز الجليل، ٢٠١٥م.

فهرس الموضوعات

الإهداء ٥

تقديم عبد السلام مقبل المجيدي ٧

تقديم ١٧

مقدمة الكتاب ٢٣

المبحث الأوّل: اسم أيوب عليه السلام ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ عنه، ومواضع ذِكْره في القرآن الكريم ٢٩

أوّلاً: اسمه ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ والتفسير ٢٩

١ ـ رجوع نَسَب أيُّوب إلى إبراهيم عليه السلام ٢٩

٢ ـ موطن أيُّوب عليه السلام ٣١

٣ ـ روايات لا تصحُّ في مرض أيُّوب عليه السلام ٣١

٤ ـ مُدَّة البلاء ٣٤

٥ ـ ما نُسب إلى أيُّوب من الشكوى ٣٦

٦ ـ طبيعة البلاء الذي أصابه ٣٨

ثانياً: سِفْر منسوبٌ إلى أيُّوب في العهد القديم ٤٣

١ ـ رأي عباس محمود العقَّاد رحمه الله في سِفْر أيُّوب ٤٤

٢ ـ رأي الدكتور سامر العامري ٤٤

٣ ـ قول الدكتور محمد بيومي مهران ٤٤

٤ ـ رأي أحمد بهجت في تعليقه على سِفْر أيُّوب ٤٥

ثالثاً: ذِكْر أيُّوب عليه السلام في القرآن الكريم ٤٦

١ ـ أيُّوب عليه السلام في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة النساء ٤٦

٢ ـ أيُّوب عليه السلام في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة الأنعام ٤٩

المبحث الثاني: قصَّة أيُّوب عليه السلام في سورة الأنبياء ٥٣
أوَّلاً: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ٥٤
١ ـ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ ٥٤
أ ـ ﴿وَأَيُّوبَ﴾ ٥٥
ب ـ ﴿إِذْ﴾ ٥٥
ج ـ ﴿نَادَىٰ﴾ ٥٥
د ـ ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ ٥٥
٢ ـ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ٥٧
أ ـ الفرق بين الضُّر بالضم والضَّر بالفتح ٥٧
ب ـ تفسير الإمام القرطبي رحمه الله لقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ٥٩
ج ـ قال الإمام المراغي رحمه الله ٦٠
د ـ ويقول العلامة أبو البركات النسفي رحمه الله ٦٠
هـ ـ وقال الشيخ الطَّاهر بن عاشور رحمه الله ٦٠
٣ ـ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ٦١
وقصَّةُ أيُّوب عليه السلام في هذه الآية فيها دروسٌ وعبر وفوائد، ومنها ٦٢
ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٦٤
١ ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ ٦٥
٢ ـ ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ ٦٥
٣ ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ ٦٧
٤ ـ ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ ٦٧
٥ ـ ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٦٨
أ ـ قال الإمام الزمخشريّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٦٩
ب ـ قال السَّعدي رحمه الله ٦٩
ج ـ قال المراغي رحمه الله ٦٩
د ـ قال الدكتور طه العلواني رحمه الله في قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٧٠

ثالثاً: سُنَّة الابتلاء التي تعرَّض لها أيُّوب عليه السلام ٧٠
رابعاً: أهميَّة الدُّعاء في رفع البلاء والشَّدائد والمحن ٧٥
١ ـ شُروط الدُّعاء ٧٦
٢ ـ آداب الدُّعاء، ومنها ٧٨
٣ ـ أوقات الإجابة، ومنها ٨٠
٤ ـ من يُستجاب دعاؤهم، ومنهم ٨١
إنّ من الدروس المهمَّة ٨٢
المبحث الثالث: ذكر أيُّوب عليه السلام في سورة (ص) ٨٥
أوّلاً: قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ ٨٦
١ ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ ٨٦
٢ ـ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ ٨٨
٣ ـ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ ٨٨
أ ـ المصائب بين كسب الإنسان وإرادة الله ٨٩
ب ـ أدب الأنبياء مع الله ٩٠
ج ـ لا سلطان للشيطان على أيُّوب عليه السلام ٩١
د ـ تفسير الشيخ طاهر بن عاشور رحمه الله للآية الكريمة ٩٢
هـ ـ وسائل الشَّيطان وأساليبه في التأثير على الإنسان ٩٣
- الوسوسة ٩٤
- الاستحواذ ٩٤
- النَّزغ ٩٤
- التسويل ٩٤
- الإملاء ٩٥
- الإلقاء ٩٥
- الإضلال ٩٥
- الطَّائف ٩٥
- التَّزيين ٩٦
- الاستنزال ٩٦

- الاستفزاز ٩٦
- الاستهواء ٩٦
- المسُّ ٩٧
- التخبُّط ٩٧
- الإغواء ٩٧
- الإنساء ٩٧
- الاحتناك ٩٨
- الاستمتاع ٩٨
- التَّنزُّل ٩٩
- النجوى ٩٩
- الهَمْز ٩٩
- العمل على التَّمنِّي ١٠٠
- الصَّدُّ ١٠٠
- التخويف ١٠٠
- الأزُّ ١٠١
- الخذلان ١٠٢
- الإيقاع ١٠٢

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ١٠٣

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ ١٠٣

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ١٠٧

أ ـ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ ١٠٧

ـ الذهب الذي أفاضه الله على أيُّوب وهو يغتسل ١٠٩

ـ معنى الحديث وبعض دلالاته ١١٠

ومن الفوائد المستنبطة من هذا الحديث ١١١

ب ـ ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ ١١٢

ج ـ ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ١١٣

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ١١٧
١ ـ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ ١١٧
أ ـ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ ١١٨
ب ـ ﴿وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ ١١٩
ج ـ تفسير الشيخ الطَّاهر بن عاشور رحمه الله للآية: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ ١٢١
٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ١٢٤
أ ـ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ ١٢٥
وقد تكلّم العلماء عن أنواع الصَّبْر في القرآن الكريم، وضرورته ١٢٧
الباعث على الصبر ١٢٨
ـ اقتران الصَّبْر بالقيم الروحيَّة العليا في الإسلام ١٢٩
ب ـ ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ١٣٥
ج ـ مَنِ الأفضل: الغنيّ الشَّاكر أم الفقير الصَّابر؟ ١٣٨
د ـ أيُّوب عليه السلام نموذج للنفس المطمئنَّة ١٣٨
إنَّ قصَّة أيُّوب عليه السلام تبيِّن لنا دروساً وعبراً وفوائد، منها ١٣٩
رابعاً: أهمُّ صفات وخصائص أيُّوب عليه السلام ووفاته ١٤٠
١ ـ تعريف الرسُل وصفاتهم ١٤٢
أ ـ تعريف الرسول اصطلاحاً ١٤٢
ب ـ هل يُنبَّأ الأنبياء قبل سنِّ الأربعين؟ ١٤٢
ج ـ الرسالة الإلهية اصطفاء ١٤٣
د ـ الرسول يوحى إليه ١٤٣
هـ ـ طريق الوحي ١٤٤
٢ ـ الفرق بين النبي والرسول ١٤٥
٣ ـ من صفات أيُّوب وبقية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ١٤٦
أ ـ الصدق ١٤٦
ب ـ الفطانة ١٤٦
ج ـ التبليغ ١٤٧

د ـ العصمة ١٤٧
هـ ـ مكارم الأخلاق ١٤٧
و ـ الكمال في الخِلْقة الظَّاهرة والسَّلامة من الأمراض المنفِّرة ١٤٨
٤ ـ الإيمان بالأنبياء والمرسلين ١٤٩
٥ ـ عدد الرُّسل ١٥٠
٦ ـ التفاضل بين الأنبياء والرُّسل ١٥١
٧ ـ أولو العزم من الرُّسل ١٥٢
٨ ـ حكمة إرسال الرُّسل عامَّة ١٥٤
أ ـ قَطْعُ المعاذير في الدنيا والآخرة ١٥٥
ب ـ إزاحةُ الغفلة والإعداد للهداية ١٥٥
ج ـ رفع الاختلاف وَرَدُّ النَّاس إلى أصول يتَّفقون عليها ١٥٥
د ـ إقامةُ القسط بين النَّاس ١٥٥
هـ ـ الأُسوة الحَسَنة ١٥٦
٩ ـ وظائف الرُّسل ١٥٦
١٠ ـ أمور تفرَّد بها الأنبياء ١٥٧
أ ـ الوحي ١٥٧
ب ـ الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ١٥٨
ج ـ الأنبياء لا يورِّثون ١٥٨
د ـ تخيير الإنسان عند الموت ١٥٩
هـ ـ لا تأكل الأرض أجسادهم ١٥٩
و ـ العِصمة ١٦٠
١١ ـ وفاة أيُّوب عليه السلام ١٦٠
الخلاصة **١٦٣**
المصادر والمراجع **١٧٥**
فهرس الموضوعات **١٨٧**
السيرة الذاتية للمؤلف د. علي محمد محمد الصلابي مفكر ومؤرخ وفقيه **١٩٣**
كتب صدرت للمؤلف **١٩٥**

❁ ❁ ❁

المؤلف في سطور

د. علي محمَّد محمَّد الصَّلابي

مفكر ومؤرخ وفقيه

ـ ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م.

ـ نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدَّعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣م، وبالترتيب الأول.

ـ حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦م.

ـ نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التَّمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩م.

ـ اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.

ـ زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفًا.

❋ ❋ ❋

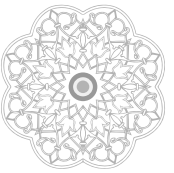

كتب صدرت للمؤلف

١ ـ السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢ ـ سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٣ ـ سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٤ ـ سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٥ ـ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

٦ ـ سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

٧ ـ الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

٨ ـ فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.

٩ ـ تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

١٠ ـ تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

١١ ـ عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

١٢ ـ الوسطية في القرآن الكريم.

١٣ ـ الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

١٤ ـ معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

١٥ ـ عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

١٦ ـ خلافة عبد الله بن الزبير.

١٧ ـ عصر الدولة الزنكية.

١٨ ـ عماد الدين زنكي.

١٩ ـ نور الدين زنكي.

٢٠ ـ دولة السلاجقة.

٢١ ـ الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

٢٢ ـ الشيخ عبد القادر الجيلاني.

٢٣ ـ الشيخ عمر المختار.

٢٤ ـ عبد الملك بن مروان وبنوه.

٢٥ ـ فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

٢٦ ـ حقيقة الخلاف بين الصحابة.

٢٧ ـ وسطية القرآن في العقائد.

٢٨ ـ فتنة مقتل عثمان.

٢٩ ـ السلطان عبد الحميد الثاني.

٣٠ ـ دولة المرابطين.

٣١ ـ دولة الموحدين.

٣٢ ـ عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

٣٣ ـ الدولة الفاطمية.

٣٤ ـ حركة الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي.

٣٥ ـ صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس.

٣٦ ـ استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

٣٧ ـ الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

٣٨ ـ الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة)، والأيوبيون بعد صلاح الدين.

٣٩ ـ المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

٤٠ ـ سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

٤١ ـ الشورى في الإسلام.

٤٢ ـ الإيمان بالله جلَّ جلاله.

٤٣ ـ الإيمان باليوم الآخر.

٤٤ ـ الإيمان بالقدر.

٤٥ ـ الإيمان بالرسل والرسالات.

٤٦ ـ الإيمان بالملائكة.

٤٧ ـ الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.

٤٨ ـ السلطان محمد الفاتح.

٤٩ ـ المعجزة الخالدة.

٥٠ ـ الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.

٥١ ـ البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

٥٢ ـ التداول على السلطة التنفيذية.

٥٣ ـ الشورى فريضة إسلامية.

٥٤ ـ الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير والاعتقاد والحريات الشخصية.

٥٥ ـ العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.

٥٦ ـ المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

٥٧ ـ العدل في التصور الإسلامي.

٥٨ ـ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

٥٩ ـ الأمير عبد القادر الجزائري.

٦٠ ـ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

٦١ ـ سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

٦٢ ـ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

٦٣ ـ أعلام التصوف السُّنِّي: «ثمانية أجزاء».

٦٤ ـ المشروع الوطني للسلام والمصالحة.

٦٥ ـ الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ ـ ١٩٢٢م) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.

٦٦ ـ الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

٦٧ ـ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: الحقيقة الكاملة.

٦٨ ـ قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام

٦٩ ـ نوح عليه السلام والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

٧٠ ـ إبراهيمُ خليل الله عليه السلام: «داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة».

٧١ ـ موسى عليه السلام كليم الله.

٧٢ ـ موسى عليه السلام والخضر.

٧٣ ـ موسى عليه السلام في سورة طه.

٧٤ ـ موسى عليه السلام في سورة القصص.

٧٥ ـ موسى عليه السلام في سورة الشعراء.

٧٦ ـ مؤمن آل فرعون في سورة غافر.

٧٧ ـ لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات).

٧٨ ـ سقوط الدولة العثمانية (الأسباب ـ التداعيات).

٧٩ ـ سقوط الدولة الأموية (الأسباب ـ التداعيات).

٨٠ ـ مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.

٨١ ـ النبي الوزير يوسف الصديق عليه السلام من الابتلاء إلى التمكين.

٨٢ ـ ذكريات لا تُنسى.

٨٣ ـ الأنبياء الملوك داود وسليمان عليهما السلام، وهيكل سليمان المزعوم.

٨٤ ـ لوط عليه السلام ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي، وعقاب الله للظالمين.

٨٥ ـ نبي الله هود عليه السلام وأسباب زوال حضارة قوم عاد.

٨٦ ـ نبي الله صالح عليه السلام وأسباب هلاك قوم ثمود.

٨٧ ـ نبي الله أيوب عليه السلام طريق الشفاء.

❋ ❋ ❋